الأربعين إلى برد اليقين

أربعون حديثاً في أسباب السعادة وموجبات الطمأنينة

جمعها وضمّ إفاداتٍ عليها

مهند بن محمد آل مغيثم

الأربعين إلى برد اليقين

أربعون حديثًا في أسباب السعادة وموجبات الطمأنينة

جمعها وضم إفادات عليها

مهند بن محمد آل مغثم

حقوق الطَّبع والنَّشر لكلِّ مسلم

للتَّواصل حول المؤلِّف

الجوال: 00966541469423

البريد الإلكتروني:

m.almugtham@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذِي أرسل نبيَّه رحمةً للعالمين، والصَّلاة والسَّلام على من جاءنا بالهدى والنُّور المُبين، أمَّا بعد:

فقد عَدَت على النَّاس حوادثُ وأهوال أوهنت عزيمةَ قلوبهم، وأفسدت سكينةَ نفوسهم، حتى صار منهم من يتطلَّب من الأسباب، ما من مثله يتعجب ذوو الألباب.

ولما كانت أعظم الأسباب الجالبة لبرد اليقين هي أسباب الشرع، وثبت عن نبيِّنا ﷺ أنَّه قال: (نضَّر الله امرءًا سَمِع مقالتي فوَعَاها فأدَّاها كما سَمِعها)، ثمَّ جرت عادةُ أهل العلم في جمع أربعين حديثًا ممَّا يُحتاج إليه في بابٍ من الأبواب = جمعتُ أربعين حديثًا عن النَّبي ﷺ في أسباب السعادة ومُوجِبَات الطَّمأنِينَة، ثم ضممتُ إليها إفاداتٍ انتخبتُها من الكتب والشُّروح للشُّيوخ الفضلاء والسَّادة العلماء، والله وحدَه الهادي إلى سُبُل السَّلام، المُنجي من الرَّيب والأوهام.

فَاتِحَة

عن مُبَارَكِ بْنِ فِضَالَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الحَسَنُ البَصْرِيّ قال: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى جَنْبِ خَشَبَةٍ يُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَيْهَا، فَلَمَّا كَثُرَ النَّاسُ قَالَ: «ابْنُوا لِي مِنْبَرًا»، فَبَنَوْا لَهُ مِنْبَرًا عَتَبَتَانِ، فَلَمَّا قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ لِيَخْطُبَ حَنَّتِ الْخَشَبَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ أَنَسٌ: «وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ، فَسَمِعْتُ الْخَشَبَةَ حَنَّتْ حَنِينَ الْوَلَدِ، فَمَا زَالَتْ تَحِنُّ حَتَّى نَزَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحْتَضَنَهَا، فَسَكَنَتْ». قَالَ: وَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ بَكَى، ثُمَّ قَالَ:

«يَا عِبَادَ اللَّهِ، الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ».[١]

---

(١) رواه ابن حبان (٦٥٠٧) واللَّفظ له، وأحمد (١٣٣٦٣)، وابن خزيمة (١٧٧٦).

الحديث الأوَّل

الرَّحمة بالخلق

عـن عبـد اللـه بـن عمـرو بـن العـاصِ رضي الله عنهـما قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: «الرَّاحِمُـونَ يَرحَمُهُـمُ الرَّحمَـنُ تَبَـارَكَ وتَعَـالَى، اِرحَمُـوا مَـن فِي الأَرضِ يَرحَمْكُـم مـن فِي السَّـمَاءِ»[1].

إفـــادات

قـال السَّـفيري رحمه الله[2]: (فنـدب ﷺ إلى الرَّحمـة والعطـف عـلى جميـع الخلـق مـن جميـع الحيوانـات، عـلى اختـلاف أنواعهـا في غـيرِ حديـثٍ، ... فكـن رحيـمًا لنفسـك ولغـيرك، ولا تسـتبدَّ بخـيرك، فارحـم الجاهـل بعلمـك، والذَّليـل بجاهـك، والفقـير بمالـك، والكبـير والصَّغـير بشـفقتك ورأفتـك، والعُصَـاة بدعوتـك، والبهائـم بعطفـك، فأقـرب النَّـاس مـن رحمـة اللـه أرحمُهُـم بخلقـه، فمـن كـثرت منـه الشَّـفقة عـلى خلقـه والرَّحمـةُ عـلى عبـاده؛ رحمـه اللـه برحمتـه، وأدخلـه دارَ كرامتـه، ووقـاهُ عـذابَ قـبره، وهـولَ موقِفِـه، وأظلَّـه بظِلِّـه، إذ كلُّ ذلـك مـن رحمتـه).

(١) رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترِّمذيِّ (١٩٢٤)، وأحمد (٦٤٩٤).
(٢) المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البريَّة (٢/٥١-٥٢).

وقال السَّعدي رَحِمَهُ اللهُ[1]: (فرحمةُ العبدِ للخلق من أكبر الأسباب الَّتِي تُنال بها رحمةُ الله، الَّتِي من آثارها خيراتُ الدُّنيا، وخيرات الآخرة، وفقدُها من أكبر القواطع والموانع لرحمة الله، والعبدُ في غاية الضَّرورة والافتقار إلى رحمة الله، لا يستغني عنها طَرْفَةَ عينٍ، وكلُّ ما هو فيه من النِّعم واندفاع النِّقم من رحمة الله.

فمتى أرادَ أن يَستَبقِيَها ويَستَزِيدَ منها، فليَعمل جميعَ الأسبابِ الَّتِي تُنالُ بها رحمتُه، وتَجتَمِعُ كلُّها في قوله تعالى: {إنَّ رحمتَ الله قريبٌ من المُحسِنِين} [الأعراف: ٥٦]، وهم المحسنون في عبادة الله، المحسنون إلى عباد الله، والإحسان إلى الخلق أثرٌ من آثار رحمة العبد بهم).

وأنشد الشِّهاب الحِجَازي رَحِمَهُ اللهُ[2]:

إن كنت لا ترحم المسكين إن عُدِمَا ** ولا الفقير إذا يشكو لك العَدَمَا

فكيف ترجو من الرَّحمن رحمتَه ** وإنَّما يَرحم الرَّحمنُ من رَحِما

---

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرَّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص١٦٩).
(٢) المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البريَّة (٢/٥٢).

الحديث الثَّاني

عـدِّ نِعَـم الله

عـن عُبيـدِ اللـه بـن مِحْصَـن رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ قـال: «مَـن أَصْبَـحَ مِنكُـم آمِنًـا في سِرْبِـه، مُعَـافًى فِي جَسَـدِهِ، عِنـدَهُ قُـوتُ يَومِـهِ، فكَأَنَّمَـا حِيـزَت لَـهُ الدُّنيَـا». [١]

إفــادة

قـال المُنَـاوي رحمه الله [٢]: («عِنـدَه قُـوتُ يَومِـه»: أي غِـذَاؤُه وعَشَـاؤُه الَّـذِي يحتاجـه في يومـه ذلـك، يعنـي مـن جمـع اللـه لـه بـين عافيـة بدنـه، وأمـن قلبـه حيـث توجَّـه، وكفـاف عيشـه بقـوت يومـه، وسـلامة أهلـه = فقـد جمـع اللـه لـه جميـع النَّعـم الَّتِـي مـن ملـك الدُّنيا لم يَحصُـل عـلى غيرِهـا، فينبغـي أن لا يَسـتقبل يومَـهُ ذلـك إلا بشُـكرِها؛ بـأن يَصرِفهـا في طاعـة المُنعِـم لا في معصيتـه، ولا يَفـتُرَ عـن ذكـره).

(١) رواه الترِّمذيِّ (٢٣٤٦) واللَّفظ له، وابنُ ماجه (٤١٤١).

(٢) فيضُ القدير شرح الجامع الصغير (٦/٦٨).

الحديث الثَّالث

تذكُّر نعمتي الصِّحة والفَراغ

عـن عبـد اللـه بـن عبـاس رضي اللـه عنهـما قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ قــال: «نِعمَتَــانِ مَغبُــونٌ فِيهِــمَا كَثِــيرٌ مِــنَ النَّــاسِ: الصِّحَــةُ والفَــرَاغ»[1].

إفـــادات

قــال ابــن الخَــازن رحمه الله[2]: (النِّعمَــةُ مَــا يَتَنَعَّــمُ بــه الإنســان ويَســتَلِذُّه، والغَبنُ: أن يَشـتريَ بأضعـاف الثَّمـن، أو يبيـع بـدُون ثمـنِ المثـلِ، فمـن صـحَّ بدنُـه وتفـرَّغ للأشـغال العَائِقـةِ، ولم يَسْـعَ لإصلاحِ آخرتِـه فهـو كالمغبُـون في البيـع).

وقـال المُظهِري[3]: (يعنـي لا يَعـرف قَـدْرَ هاتـينِ النِّعمتـينِ كثـيرٌ مـن النَّاس؛ يعنـي لا يعملـون في زمـان الصِّحـةِ والفَـراغِ الأعـمالَ الصَّالحـة، ولا يُهَيِّئُـون أمـر الآخـرة، حتَّـى تتبـدَّل الصِّحـة بالمـرض، والفـراغُ بالاشـتغال، فحينئـذٍ يندمـون عـلى تضييـع أعمارِهـم ولا يَنفعهُـمُ النَّـدم).

---

(١) رواه البُخاري (٦٤١٢).
(٢) قوتُ المُغتذي على جامع الترِّمذي (٢/ ٥٥٩).
(٣) المفاتيح في شرحُ المَصابيح (٥/ ٢٧٣).

الحديث الرَّابع

الزُّهدُ في الدُّنيَا

عن سَهلُ بنُ سَعدٍ السَّاعِدي رضي الله عنه قال: أتى النَّبي ﷺ رَجُلٌ فقالَ: يا رَسُولَ الله دُلَّني على عَمَلٍ إِذَا عَمِلتُه أَحَبَّنِي اللهُ وأَحَبَّنِي النَّاسُ، فقال: «ازهَدْ فِي الدُّنيَا يُحِبُّك الله، وازهَدْ فِيمَا عِندَ النَّاسِ يُحِبُّك النَّاسُ»(١).

إفادات

قال ابن تيميَّة رحمه الله(٢): (الزُّهد المشروع: تركُ ما لا ينفعُ في الدَّار الآخرةِ، وأمَّا كلُّ ما يستعينُ به العبدُ على طاعة الله فليس تركُهُ من الزُّهدِ المشروع، بل تَركُ الفُضُول الَّتِي تَشغَلُ عن طاعةِ الله ورسوله هو المشروع).

وقال ابن القيِّم رحمه الله(٣): (والَّذِي أجمع عليه العارفون أنَّ الزُّهد سفر القلب من وطن الدُّنيا، وأخذه في منازل الآخرة) وقال: (ومن أحسن ما قيل في الزُّهد، كلام الحسن أو غيره: «ليس

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٨-٢٩).

(٣) مدارج السَّالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/١٥-١٦).

الزُّهـد في الدُّنيا بتحريـم الحـلال، ولا إضاعـة المـال. ولكـن أن تكـون بمـا في يـد اللـه أوثـق منـك بمـا في يـدك، وأن تكـون في ثـواب المصيبـة -إذا أصبـت بهـا- أرغـب منـك فيهـا لـو لم تصبـك». فهـذا مـن أجمـع كلام في الزُّهـد وأحسـنه).

قـال الصَّنعَـاني رحمه الله[1]: (وإنَّمـا كان الزُّهـد في الدُّنيـا سـببًا لمحبـة اللـه؛ لأنَّ الدُّنيـا عنـده تعـالى غـير محبوبـة ولا نظـر إليهـا منـذ خلقهـا، فمـن زهـد فيهـا فقـد زهـد فيـما لا يحبـه اللـه فأحبـه اللـه، ولأنَّهـا هـي الَّتِـي تُلهـي العبـد عـن مـولاه وتقطـع عليـه طريـق سـيره إلى اللـه، ولأنَّ الغالـب أنَّـه لا يزهـد في الدُّنيـا إلا مـن يرغـب فيـما عنـد اللـه.

«وازهَـدْ فِيـمَا في أَيـدِ النَّـاسِ يُحِبُّـك النَّـاسُ»: الزَّهـادة عـما في أيديهم يكـون بـترك التَّشـوق إلى مـا في أيديهـم والتَّذلـل لمـا عندهـم، وعـدم الطَّمـع في أموالهـم، وهـذا مـن أعظـم أسـباب محبَّـة العبـاد، فـإنَّ طبـع بنـي آدم محبَّـةُ مـن لم يطمـع فيـما عندهـم ولا يتشـوَّق لأخـذه منهـم، ولأنَّـه بذلـك يُفـارق أبنـاء جنسـه فيَعظُـم عندهـم ويُحبُّونـه، ومـن رغـب فيـما عندهـم أبغضـوه ومَلُّـوه، ولـذا قيـل: وأخـو الحوائـج وجهـه مملـول).

---

(١) التَّنوير شرح الجامع الصغير (٢/٣٠٢).

الحديث الخامس

مجالسة المساكين

عن أبي ذرٍّ الغِفَارِيِّ رضي الله عنه قال: «أَمَرَنِي خَلِيلِي ﷺ بِسَبْعٍ: أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ»(١).

إفـــادة

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): (مجالسة المساكين تُوجب رضا من يُجالسهم برزق الله عزَّ وجلَّ، وتَعظُم عنده نعمة الله عزَّ وجلَّ عليه بنظره في الدُّنيا إلى من دونه، ومجالسة الأغنياء تُوجب السَّخط بالرِّزق، ومدَّ العين إلى زينتهم وما هم فيه، وقد نهى الله عزَّ وجلَّ نبيَّه عن ذلك فقال تعالى: {ولا تمدن عينيك إلى

(١) رواه أحمد (٢١٤١٥).

(٢) شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (١٠٥-١٠٦).

ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدُّنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى} [طه: ١٣١]) وقال: (وكان عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يُجالس الأغنياء فلا يزال في غمٍّ، لأنَّه لا يزال يَرى من هو أحسن منه لباسًا ومركبًا ومسكنًا ومطعمًا، فتركهم وجالس المساكين فاستراح من ذلك.

وقد رُوي عن النَّبي أنَّه نهى عائشة من مخالطة الأغنياء.

وقال عمر: إيَّاكم والدُّخول على أهل السَّعة فإنَّه مسخطةٌ للرِّزق.

واعلم أنَّ المسكين إذا أُطلق يُراد به غالبًا من لا مال له يكفيه، فإنَّ الحاجة تُوجب السُّكون والتَّواضع، بخلاف الغنى فإنَّه يُوجب الطغيان، ولهذا ذمَّ الفقير المختال وعظَّم وعيده لأنَّه عصى بما يُنافي فقره، وهو الاختيال والزُّهُو والكِبر.

ولمَّا كان المسكين عند الإطلاق لا ينصرف إلا إلى من لا كفايةَ له من المال وصَّى الله تعالى بإيثار المساكين وإطعامهم الطَّعام، ومدح من يُطعمهم، وذمَّ من لا يحضُّ على إطعامهم، وجعل لهم حقًّا في أموال الصَّدقات والفيء وخُمُسِ الغنائم وحضور قسمة الأموال).

الحديث السَّادس

النَّظر إلى من هو أسفل في أمور الدُّنيا

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ »[١].

إفـــادة

قال القُرطُبي رحمه الله[٢]: (أي اعتبروا بمن فُضِّلتُم عليه في المال والخلق والعافية، فيَظهَر عليكم ما أنعم الله به عليكم فتشكرونه على ذلك؛ فتقومون بحقِّ النِّعمة، وذلك بخلاف ما إذا نظر إلى ما فُضِّل عليه غيره من ذلك؛ فإنَّه يَضمحِلُّ عنده ما أنعم الله عليه به من النِّعم ويحتَقرها، فلا يَحسبها نِعَمًا، فينسى حقَّ الله فيها، وربَّما حمله ذلك النَّظرُ إلى أن تمتدَّ عينُه إلى الدُّنيا فيُنافس أهلها، ويتقطَّع لحسرة فوتِها، ويحسِد أهلها، وذلك هو الهلاك في الدُّنيا والآخرة).

---

(١) رواه مسلم (٢٩٦٣).

(٢) المُفهِم لما أَشكَلَ من تَلخِيصِ كتاب مُسلم (١١٦/٧).

الحديث السَّابع

الرِّضا بالدُّون من العيش

عـن فَضَالَـةَ بـن عُبَيـدٍ رَضِيَ اللـه عنـه أنَّـه سَـمِعَ رسـول اللـه ﷺ يقـول: «طُـوبَى لِمَـنْ هُـدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُـهُ كَفَافًا وَقَنَـعَ »[1].

إفـــادات

قـال المُنَـاوي رحمه الله[2] في معنـى «وَكَانَ عَيْشُـهُ كَفَافًـا»: (أي بقـدر كفايتـه؛ لا يُشـغله ولا يُطغيـه، ... قـال الشَّـاعر:

والنَّفس راغبةٌ إذا رغَّبتها ** وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تَقنعُ).

وقال في معنـى «وقَنَـعَ»[3]: (فلـم يَطلُـب زيـادةً عليـه لعلمـه بـأنَّ رزقـه مقسـومٌ لـن يعـدو مـا قُـدِّر لـه، ولهـذا قيـل لحكيـمٍ: مـا الغِنَـى؟ قـال: قلَّـة تمنيـك، ورضـاك وقَنَعُـك بمـا يكفيـك).

وقـال الصَّنعَـاني رحمه الله[4]: (فإنَّـه بالقُنُـوع يفـوز بالأجـر؛ لعلمـه بـأنَّ اللـه تعـالى لم يَـزوِ عنـه شـيئًا يسـتحقُّه، ولأنَّـه يُريـح قلبـه بالتَّفـرغ لعبـادة مـولاه، فـإنَّ مـن زاد مالـه زادت أشـغاله، وذهـب عنـه عافيتـه ومالـه).

---

(١) أخرجه التِّرمذيّ (٢٣٤٩)، وأحمد (٢٣٩٤٤).
(٢) فيضُ القدير شرح الجامع الصغير (٢٧٦/٤).
(٣) المصدر السَّابق (٢٨٤/٤).
(٤) التَّنوير شرح الجامع الصَّغير (١٦٠/٧).

الحديث الثّامن

اتِّخاذ خيرِ المالِ

عن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: لمَّا نَزَلَ في الفِضَّةِ والذَّهبِ ما نَزَلَ، قالوا: فأيَّ المالِ نَتَّخِذُ؟ قال عُمَرُ: أنا أعلَمُ ذلك لكم، قال: فأَوضَعَ على بَعيرٍ فأدرَكَه، وأنا في أثَرِه، فقال: يا رسولَ اللهِ، أيَّ المالِ نَتَّخِذُ؟ قال: «لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُم قَلبًا شَاكِرًا، ولِسَانًا ذَاكِرًا، وزَوجَةً تُعِينُهُ عَلَى أَمْرِ الآخِرَةِ»[١].

إفادة

قال السِّندي رحمه الله[٢]: (وفي رواية التِّرمذيِّ: أَيُّ المَالِ خَيْرٌ فَنَتَّخِذَهُ؟ فَقَالَ: «أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ، وَقَلْبٌ شَاكِرٌ، وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ عَلَى إِيمَانِهِ»؛ فعدَّ المذكورات من المال لمشاركتها للمال؛ أي في ميلِ قلب المؤمن إليها، وأنَّها أمورٌ مطلوبةٌ عنده، ثمَّ عدَّها من أصل الأموال؛ لأنَّ نفعها باقٍ، ونفع سائر الأموال زائلٌ، وبالجملة فالجواب من أسلوب الحكيم للتَّنبيه على أنَّ همَّ المؤمن ينبغي أن يتعلَّق بالآخرة، فيَسأَل عمَّا ينفعه وأنَّ أموال الدُّنيا كلِّها لا تخلو عن شرٍّ).

(١) رواه ابن ماجه (١٨٥٦) وأحمد (٢٢٤٣٧) واللَّفظ له.
(٢) حاشية سُنَن ابنِ ماجه (٥٧١/١).

الحديث التَّاسع

بذل الفاضل عن الكفاية

عـن أبي أُمَامَـة البَاهِـليِّ رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: «يَـا ابْـنَ آدَمَ إِنَّـكَ أَنْ تَبْـذُلَ الْفَضْـلَ خَـيْرٌ لَـكَ، وَأَنْ تُمْسِـكَهُ شَرٌّ لَـكَ، وَلَا تُـلَامُ عَـلَى كَفَـافٍ، وَابْـدَأْ بِمَـنْ تَعُـولُ، وَالْيَـدُ الْعُلْيَـا خَـيْرٌ مِـنَ الْيَـدِ السُّـفْلَى».(١)

إفـــادات

قـال القُرطُبِـي رحمه الله(٢): (الفَضْـلُ يعنـي بـه: الفاضـل عـن الكفايـة، ولا شـكَّ في أنَّ إخراجـه أفضـل مـن إمسـاكه. فأمَّـا إمسـاكه عـن الواجبـات فـشرٌّ عـلى كلِّ حـال، وإمسـاكه عـن المنـدوب إليـه فقـد يُقـال فيـه شرٌّ؛ بالنسـبة إلى مـا فـوَّت المُمسـك عـلى نفسـه مـن الخـير).

وقـال ابـن المَلَـك رحمه الله(٣): («ولا تُـلَام ُعَـلَى كَفَـافٍ»: أي لا لـوم عليـك عـلى إمسـاك كَفَـافٍ، وهـو مـا كـفَّ مـن الـرِّزق عـن مسـألة الخلـق،

(١) رواه مسلم (١٠٣٦).
(٢) المُفهِم لما أَشكَلَ من تَلخِيصِ كتاب مُسلم (٣/٨٢).
(٣) شرح مصابيح السُّنَّة (٢/٤٥٣).

تكُفُّ به وجهك عن النَّاس، وإن حفظتَ أكثر من ذلك، ولم تتصدَّق بما فَضَل عنه، فأنت بخيلٌ، والبخل مذموم.

«وَابدَأ بِمَن تَعُول»: أي ابدأ في الإنفاق والإعطاء بمن تَمُون، وتلزمك نفقته من عيالك، فإن فَضَل شيءٌ فأعطِ الأجانب).

الحديث العاشر

اعتياد الصَّدَقة وإن قلَّت

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا »[1].

إفـــادة

قال القُرطُبي رحمه الله[2]: (قوله: «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا» هو موافقٌ في المعنى لقوله تعالى: {وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه}، وهذا يعمُّ الواجبات والمندوبات.

وقوله: «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا» يعني الممسك عن النَّفقات الواجبات، وأمَّا الممسك عن المندوبات، فقد لا يستحقُّ هذا الدُّعاء باللَّهم، إلَّا أن يَغلب عليه البخل بها، وإن قلَّت في أنفسها؛ كالحبَّة واللُّقمة وما شَاكَلَ هذا. فهذا قد يتناوله هذا الدُّعاء؛ لأنَّه إنَّما يكون كذلك لغلبة صفة البخل المذمومة عليه، وقلَّ ما يكون كذلك، إلا ويبخلُ بكثيرٍ من الواجبات، أو لا يَطِيبُ نفسًا بها، والله تعالى أعلم).

(١) رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).
(٢) المُفهِم لما أَشكَلَ من تلخِيصِ كتاب مُسلم (٣/٥٥).

الحديث الحادي عشر

تَبيُّن حقيقة الغنى

عـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ قـال: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[١].

إفـــــادات

قـال القـاضي عِيَـاض رحمه الله[٢]: (ويعنـي الحديـث: أنَّ حقيقة الغنـى والغنـى المحمـود هـو: غنـى النَّفـس وشَـبَعُها وقلَّـةُ حرصِهـا، لا كـثرةُ المال، مـع الحـرص على التزيُّـد منـه والشـحِّ بـه، فذلـك فقـرٌ بالحقيقـة؛ لأنَّ صاحبـه لم يسـتعن بـه بعـد).

وقـال العِينـي رحمه الله[٣]: (وقـال ابـن قُرْقُـول: قولـه ﷺ:«لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ» بفتـح الـرَّاء: يعنـي كـثرة المـال والمتـاع. ويُسـمَّى عَرَضًـا؛ لأنَّـه عـارضٌ يَعـرض وقتًـا ثـمَّ يـزول ويفنـى، ومنـه قولـه: «يَبيـع دينـه بعَـرَض مـن الدُّنيـا»، أي بمتـاعٍ منهـا ذاهـبٍ فـانٍ).

(١) رواه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥٨٦/٣).
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/٩).

الحديث الثّاني عشر

نيَّــةُ الخيــر

عـن أبي كَبْشَـةَ الأَنْمَـارِي رضي اللـه عنـه أنَّـه سـمع رسـول اللـه ﷺ يقـول: ثلاثـةٌ أقسِـمُ عليْهِـنَّ وأحدِّثُكـم حديثًـا فاحفظـوهُ قـالَ: «مَـا نَقَـصَ مَـالُ عَبْـدٍ مِـنْ صَدَقَـةٍ، وَلَا ظُلِـمَ عَبْـدٌ مَظْلِمَـةً فَصَبَرَ عَلَيْهَـا إِلَّا زَادَهُ اللَّـهُ عِـزًّا، وَلَا فَتَـحَ عَبْـدٌ بَـابَ مَسْـأَلَةٍ إِلَّا فَتَـحَ اللَّـهُ عَلَيْـهِ بَـابَ فَقْـرٍ أَوْ كَلِمَـةً نَحْوَهَـا»، وأحدِّثُكـم حديثًـا فاحفظـوهُ، فقـالَ: «إِنَّمَـا الدُّنْيَـا لِأَرْبَعَـةِ نَفَـرٍ، عَبْـدٍ رَزَقَـهُ اللَّـهُ مَـالًا وَعِلْـمًا فَهُـوَ يَتَّقِـي فِيـهِ رَبَّـهُ، وَيَصِـلُ فِيـهِ رَحِمَـهُ، وَيَعْلَـمُ لِلَّـهِ فِيـهِ حَقًّـا، فَهَـذَا بِأَفْضَـلِ المَنَازِلِ، وَعَبْـدٍ رَزَقَـهُ اللَّـهُ عِلْـمًا وَلَـمْ يَرْزُقْـهُ مَـالًا فَهُـوَ صَـادِقُ النِّيَّـةِ يَقُولُ: لَـوْ أَنَّ لِي مَـالًا لَعَمِلْـتُ بِعَمَـلِ فُـلَانٍ فَهُـوَ بِنِيَّتِـهِ فَأَجْرُهُـمَا سَـوَاءٌ، وَعَبْـدٍ رَزَقَـهُ اللَّـهُ مَـالًا وَلَـمْ يَرْزُقْـهُ عِلْـمًا، فَهُـوَ يَخْبِـطُ فِي مَالِـهِ بِغَـيْرِ عِلْـمٍ لَا يَتَّقِـي فِيـهِ رَبَّـهُ، وَلَا يَصِـلُ فِيـهِ رَحِمَـهُ، وَلَا يَعْلَـمُ لِلَّـهِ فِيـهِ حَقًّـا، فَهَـذَا بِأَخْبَـثِ المَنَازِلِ، وَعَبْـدٍ لَـمْ يَرْزُقْـهُ اللَّـهُ مَـالًا وَلَا عِلْـمًا فَهُـوَ يَقُولُ: لَـوْ أَنَّ لِي مَـالًا لَعَمِلْـتُ فِيـهِ بِعَمَـلِ فُـلَانٍ فَهُـوَ بِنِيَّتِـهِ فَوِزْرُهُـمَا سَـوَاءٌ»[١].

(١) رواه التِّرمذيّ (٢٣٢٥) واللَّفظ له، وأحمد (١٨٠٦٠).

إفـــــادات

قال الصَّنعَاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: (هذا يدلُّ على أنَّ من كان صادق النِّية في فعل أي خيرٍ ومنعه عنه مانع عدم الاستطاعة؛ أنَّه مثل من استطاع في الأجر، وهذا مقتضى فضل الله وعدله، لأنَّه ما عاق صادق النِّيَّة إلا أنَّه تعالى ما أوسع عليه في العطاء، فما امتنع عنه إلا لعائق القدر، ويدلُّ له حديث: «إنَّ في المَدِينَةِ أَقوَامًا مَا نَزَلنَا مَنزِلًا ولا هَبَطنَا وَادِيًا إلَّا وهُم مَعَنا؛ حَبَسَهُم العُذر» قاله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض غزواته، فقد جعل المعذورين مع المستطيعين وعليه قوله تعالى: {لا يَستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أُولِي الضَّرر والمجاهدون...} الآية [النساء: ٩٥]، فإنَّه استثنى أولي الضَّرر، وجَعَلَهم كالمجاهدين).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: (قال أبو عمران الجوني: يُنادى المَلَك: اكتب لفلان كذا وكذا، فيقول: يا ربِّ، إنَّه لم يعمله، فيقول: إنَّه نواه. قال زيد بن أسلم: كان رجلٌ يطوف على العلماء، يقول: من يدلُّني على عملٍ لا أزال منه لله عاملًا، فإنِّي لا أحبُّ أن تأتي عليَّ ساعةٌ من الليل والنَّهار إلا وأنا عاملٌ لله تعالى، فقيل له: قد وجدتَ حاجتك، فاعمل الخير ما استطعت، فإذا فترتَ أو تركته فهُمَّ بعمله، فإنَّ الهامَّ بعمل الخير كفاعله. ومتى اقترن بالنِّية قولٌ أو سعيٌ؛ تأكدَّ الجزاء، والتحق صاحبه بالعامل).

(١) التَّنوير شرح الجامع الصغير (٥/١٦٤-١٦٥).

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم (٢/٣٢٠).

الحديث الثَّالث عشر

الاتِّصاف بخصالِ حلاوة الإيمان

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١).

إفـــــادات

قال القاضي عِيَاض رحمه الله(٢): (لا تتضح محبَّةُ الله ورسوله حقيقةً، والحبُّ للغير في الله وكراهة الرُّجوع إلى الكفر؛ إلا لمن قَوِيَ بالإيمان يقينه، واطمأنَّت به نفسه، وانشرح له صدره، وخالط دمه ولحمه، وهذا هو الَّذِي وجد حلاوته. والحبُّ في الله من ثمرات الحبِّ لله).

وقال ابن هُبَيْرَة رحمه الله(٣): (هذه الخصال الثَّلاث المذكورة في هذا الحديث مرتَّبَةٌ على التَّرتيب الصَّحيح المستقيم؛ لأنَّه بدأ أولًا بحبِّ الله تعالى، وحبِّ رسوله ﷺ وأن يكون الله ورسوله أحبَّ إلى الإنسان ممَّا سواهما، ولفظه يعمُّ ما يعقل وما لا

(١) رواه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣).
(٢) إكمال المُعلم بفوائد مسلم (٢٧٨/١).
(٣) الإفصاح عن معاني الصِّحاح (١٥٠/٥).

يعقـل، فيشـمل الآدميـين بمـن يدخـل فيهـم مـن الأهـل والولـد والحميـم وغـير ذلـك.

ثـم نـزل مـن هـذه الطبقـة إلى الطبقـة المماثلـة وهـو أن يحـبَّ المرء لا يحبُّـه إلا للـه، وذلـك أنَّـه لمَّـا كان اللـه ورسـوله أحـبَّ إليـه مـمَّا سـواهما، كان مـن شرط هـذا أن لا يحـب المؤمـن أحـدًا يـرى أنَّـه بغيـضٌ إلى اللـه وإلى رسـوله، بـل يكـون مـن شرط حـبِّ العبـد ربَّـه سـبحانه وحبِّـه نبيِّـه ﷺ أن لا يحـبَّ المـرء إلا للـه وهـذا النُّطـق في قولـه: «المـرء» يشـمل الذُّكـور مـن الآدميـين).

ثـم قـال: (ثـمَّ أتبـع ذلـك بمـا هـو مـن أوصـاف الإنسـان، وهـو أن يـودَّ أن يُلقـى في النَّـار ولا يـردَّ إلى الكفـر، فالمعنـى فيـه ظاهـرٌ، وذلـك أنَّ المؤمـن إذا أُلقـي في النَّـار -نـار هـذه الدُّنيـا- وهـو مؤمـنٌ كان كالخائـض بهـا إلى الجنَّـة فـلا يُباليهـا، لأنَّـه يعلـم أنَّ خـوض النَّـار إلى الجنَّـة ربَّمـا اسـتطابه خائضـه مـن حيـث أن يتيقَّـن أنَّ كل مـا قطـع خطـوةً قَـرُبَ إلى الجنَّـة مرحلـةً، ولـو قـد كان عـودُه إلى الكفـر لـكان ذلـك مؤديًـا إلى نـارٍ لا خـلاص منهـا أبـدًا.

فهـذه آيـات المؤمـن وعلاماتُـه الَّتِـي يُعـرف بهـا، وهـي جامعـةٌ لحـبِّ اللـه وحـبِّ رسـوله ﷺ، وحـبِّ المؤمنـين، وحـبِّ الإيمـان عـلى الكفـر، فهـذا الحديـث جامـعٌ لأوصـاف الحـبِّ).

وقـال النَّـووي رحمه الله[1]: (قـال العلـماء -رحمهـم اللـه: معنـى حـلاوة الإيمـان: اسـتلذاذ الطَّاعـات وتحمُّـل المشـقَّات في رضـا اللـه عـزَّ وجـلَّ ورسـوله ﷺ ،وإيثـار ذلـك عـلى عَـرَض الدُّنيـا).

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج (١٣/٢).

الحديث الرَّابع عشر

الحبُّ في الله

عـن أبي إدريـس الخـولاني رَحِمَهُ اللَّهُ قـال: دخلـتُ مسـجد دمشـق فـإذا فتًـى بـرَّاق الثنايـا، وإذا النـاس معـه، فـإذا اختلفـوا في شيء أسـنَدوه إليـه، وصـدروا عـن رأيـه، فسـألتُ عنـه، فقيـل: هـذا معـاذ بـن جبـل، فلـما كان مِـن الغـد هجَّـرت، فوجدتُـه قـد سـبقني بالتهجـير، ووجدتُـه يُصـلِّي، فانتظرتُـه حتـى قـضى صلاتـه، ثـم جئتـه مـن قِبَـل وجهِـه، فسـلَّمت عليـه، ثـم قلـت لـه: واللـهِ إني لأحبُّـك للـه، فقـال: آللـهِ؟ فقلـت: آللـه، فقـال: آللـهِ؟ فقلـت: آللـه، فأخـذ بحبـوةِ ردائي فجذَبنـي إليـه، فقـال: أبـشِرْ؛ فـإني سـمعتُ رسـول اللـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقـول: «قَـالَ اللـه عـزَّ وجـلَّ: وَجَبَـتْ مَحَبَّتِـي لِلْمُتَحَابِّـينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِـينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِيـنَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِـينَ فِيَّ».(١)

إفـــادة

قـال ابـن عبـد الـبرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): (قـرأت عـلى أبي عثـمان سـعيد بـن نـصر، أنَّ قاسـم بـن أصبـغ حدَّثهم، قـال: حدَّثنـا ابـن وضَّاح، قـال: سـمعت ابـن أبي إسرائيـل يقـول: سـمعت سـفيان بـن عيينـة يقـول:

---

(١) رواه مالك (٩٥٣/٢) وأحمد (٢٢٠٣٠).

(٢) التَّمهيد لما في الموطَّأ من المعاني والأسانيد (٢٦٤/١١).

عند ذكر الصَّالحين تتنزل الرَّحمة. قال: وسمعت ابن أبي إسرائيل يقول: سمعت سفيان يقول: اسلكوا سبيل الحقِّ، ولا تستوحشوا من قلَّة أهله).

وقال[1] :(وذكر ابن المبارك عن فُضَيل بن غزوان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله في قوله: {لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم} [الأنفال: ٦٣]، قال: نزلت في المتحابِّين في الله.

... عن البراء بن عازب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أوثق عرى الإسلام، أن تحبَّ في الله، وتبغض في الله».

فمن الحبِّ في الله، حبُّ أولياء الله، وهم الأتقياء العلماء الفضلاء. ومن البغض في الله، بغض من حادَّ الله، وجاهر بمعاصيه، أو ألحد في صفاته، وكفَرَ به، وكذَّب رسله، أو نحو هذا كلِّه).

ثمَّ قال[2]: (جعلنا الله برحمته من المتحابين فيه ولوجهه، المستقرين تحت ظلِّه، يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه، فإنَّ ذلك من أفضل الأعمال، وأكرم الخلال).

(١) التَّمهيد لما في الموطَّأ من المعاني والأسانيد (١١/ ٢٦٦).
(٢) المصدر السَّابق (٢٦٧/١١).

الحديث الخامس عشر

قضاء حوائج المسلمين والاجتماع على تلاوة القرآن

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(١).

إفـــــادات

قال الطُّوفي رحمه الله(٢): (الاجتماع في بيوت الله عزَّ وجلَّ لمذاكرة الكتاب ومدارسته يُجازى عليه بأشياء:

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).
(٢) المُعين على تفهُّم الأربعين (٣١٣/١).

أحدها: نزول السَّكينة عليهم لأنَّها الطِّمأنينة، وبذكر الله عزَّ وجلَّ تطمئنُّ القلوب، والمراد أنَّها تطمئنُّ للإيمان حتى يُفضي بها إلى الرَّوضات في جوار الرَّحمن.

الثَّاني: غشيان الرَّحمة لهم لأنَّ ذكر الله تعالى إحسان، والرَّحمة إحسان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

الثَّالث: حفَّت الملائكة بهم لاستماع الذِّكر تعظيمًا للمذكور وإكرامًا للذَّاكر.

الرَّابع: ذكر الله عزَّ وجلَّ لهم فيمن عنده من الملائكة لقوله عزَّ وجلَّ: {فاذكروني أذكركم} [البقرة: ١٥٢] {ولذكر الله أكبر} [سورة العنكبوت: ٤٥] وقوله: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، ومَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيرٍ مِنهُ».

وقال ابن حَجَرٍ الهَيتَمِي رحمه الله[1]: (فعُلَم عظيم فضل قضاء حوائج المسلمين، ونفعهم بما تيسَّر من علمٍ، أو مالٍ، أو جاهٍ، أو إشارةٍ، أو نصحٍ، أو دلالةٍ على خيرٍ، أو إعانةٍ بنفسه، أو سفارته ووساطته، أو شفاعته، أو دعائه له بظهر الغيب.

وممَّا يُعلمك بعظيم الفضل في هذا وما بعده أنَّ الخلق عيالُ الله، وتنفيس الكرب إحسانٌ إليهم، والعادة أنَّ السَّيد والمالك يحبُّ الإحسان لعياله وحاشيته، وفي الأثر: «الخَلقُ عِيالُ الله، وأَحَبُهُم إِلَى الله تَعَالَى أَرْفَقُهُم بِعِيَالِه»).

(١) الفتح المبين بشرح الأربعين (ص٥٦٧).

الحديث السَّادس عشر

إفشاء السَّلام

عـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: «لَا تَدْخُلُـونَ الْجَنَّـةَ حَتَّـى تُؤْمِنُـوا، وَلَا تُؤْمِنُـوا حَتَّـى تَحَابُّـوا، أَوَلَا أَدُلُّكُـمْ عَـلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُـوهُ تَحَابَبْتُـمْ؟ أَفْشُـوا السَّـلَامَ بَيْنَكُـمْ »[١].

إفـــادات

قـال ابـن هُبَـيْرَة رحمه الله[٢]: (فأرشـد إلى مـا يغـرس الحـبَّ، وهـو إفشـاء السَّـلام، وذلـك لأنَّـه ﷺ نبَّـه بأيـسر مـا يـأتي بـه العبـد منهـا بذلـك عـلى مـا فوقـه).

وقـال النَّـووي رحمه الله[٣]: (فيـه الحـثُّ العظيـم عـلى إفشـاء السَّـلام وبذلـه للمسـلمين كلِّهـم، مـن عرفـتَ ومـن لم تعـرف، كـما تقـدَّم في الحديـث الآخـر. والسَّـلام أوَّل أسـباب التَّآلـف، ومفتـاح اسـتجلاب المـودة، وفي إفشـائه تَمكُّـنُ أُلفَـة المسـلمين بعضهـم لبعـض، وإظهـار شـعارهم المميَّـز لهـم مـن غيرهـم مـن أهـل الملـل، مـع مـا فيـه مـن رياضـة النَّفـس، ولـزوم التَّواضـع، وإعظـامُ حرمـات المسـلمين).

(١) صحيح مسلم (٥٤).
(٢) الإفصاح عن معاني الصِّحاح (٦٢/٨).
(٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج (٣٦/٢).

الحديث السَّابع عشر

إجابة الدَّعوة وقبول الهديَّة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو دُعيتُ إلى ذِرَاعٍ أو كُرَاعٍ لأَجَبتُ، ولَو أُهدِيَ إليَّ ذِرَاعٌ أو كُرَاعٌ لقَبلتُ».(١)

إفادات

قال زكريا الأنصاري رحمه الله(٢): («ذِرَاع» بذَالٍ مُعجَمةٍ، أي ساعدٍ، «أو كُرَاع» بضمِّ الكاف، وهو ما دون الرُّكبَة من السَّاق).

وقال ابن المُلَقِّن رحمه الله(٣): (هذا منه ﷺ حضٌّ لأمته على المهاداة والصِّلة والتَّأليف والتَّحابِّ، وإنَّما أخبر أنَّه لا يحتقر شيئًا مما يُهدى إليه أو يُدعى إليه؛ لئلَّا يمنع الباعث من المهاداة لاحتقار المهدي).

(١) صحيح البخاري (٥١٧٨).
(٢) مِنحَةُ البَاري بشرح صحيح البخاري (٣٥٥/٥).
(٣) التَّوضيح شرح الجامع الصحيح (٢٨٣/١٦).

الحديث الثَّامن عشر

صِـــلَةُ الرَّحِـــم

عــن أنس بن مالــك رضي الله عنه أنَّ رســول الله ﷺ قــال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَــأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[1].

إفــــادة

قال السَّعدي رحمه الله[2]: (هـذا الحديـث فيـه: الحـثُّ عـلى صلـة الرَّحم، وبيـان أنَّهـا كـما أنَّهـا موجبـةٌ لرضـا اللـه وثوابـه في الآخـرة، فإنَّهـا موجبـةٌ للثَّـواب العاجـل، بحصـول أحـبِّ الأمـور للعبـد، وأنَّهـا سـببٌ لبسـط الـرِّزق وتوسـيعه، وسـببٌ لطـول العمـر. وذلـك حـقٌّ عـلى حقيقتـه؛ فإنَّـه تعـالى هـو الخالـق للأسـباب ومسـبِّباتها.

وقـد جعـل اللـه لـكلِّ مطلـوبٍ سـببًا وطريقًـا يُنـال بـه، وهـذا جـارٍ عـلى الأصـل الكبـير، وأنَّـه مـن حكمتـه وحمـده جَعـلُ الجـزاء مـن جنـس العمـل، فكـما وَصَـلَ رَحِمَـه بالـبرِّ والإحسـان المتنـوع، وأدخـل عـلى قلوبهـم الـسُّرور، وصـل اللـه عمـره، ووصـل رزقـه، وفتـح لـه مـن أبـواب الـرِّزق وبركاتـه، مـا لا يحصـل لـه بـدون هـذا السَّـبب الجليـل.

(١) رواه البخاري (٥٩٨٦) ومسلم (٢٥٥٧).
(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرَّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص١٧٢-١٧٣).

وكما أنَّ الصِّحة وطيب الهواء وطيب الغذاء، واستعمال الأمور المقوِّية للأبدان والقلوب، من أسباب طول العمر، فكذلك صلة الرَّحم جعلها الله سببًا ربَّانيًّا).

وقال: (وفي هذا الحديث دليلٌ: على أنَّ قصد العامل، ما يترتَّب على عمله من ثواب الدُّنيا لا يضرُّه إذا كان القصد من العمل وجه الله والدَّار الآخرة. فإنَّ الله بحكمته ورحمته رتَّب الثَّواب العاجل والآجل، ووعد بذلك العاملين؛ لأنَّ الأمل واستثمار ذلك يُنشط العاملين، ويبعث هممهم على الخير، كما أنَّ الوعيد على الجرائم، وذكر عقوباتها ممَّا يُخوِّف الله به عباده ويبعثهم على ترك الذُّنُوب والجرائم.

فالمؤمن الصَّادق يكون في فعله وتركه مخلصًا لله، مستعينًا بما في الأعمال من المرغبات المتنوعة على هذا المقصد الأعلى، والله الموفق).

الحديث التَّاسع عشر

زيـــارة الإخـــوان

عـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: «مَـنْ عَـادَ مَرِيضًـا أَوْ زَارَ أَخًـا لَـهُ فِي اللَّـهِ نَـادَاهُ مُنَـادٍ أَنْ طِبْـتَ وَطَـابَ مَمْشَـاكَ وَتَبَـوَّأْتَ مِـنَ الجَنَّـةِ مَنْـزِلًا»[1].

إفـــادة

قـال الطِّيبِـي رَحِمَهُ اللهُ[2]: (قولـه: «طِبْـتَ»: دعـاءٌ لـه بـأن يُطيِّـب عيشـه في الدُّنيـا. «وَطَـابَ مَمْشَـاكَ»: كنايـةٌ عـن سـيره وسـلوكه طريـق الآخـرة بالتعـرِّي مـن رذائـل الأخـلاق، والتحـلِّي بمحاسـن الأفعـال ومكارمهـا. «وَتَبَـوَّأْتَ»: دعـاءٌ بطيـب العيـش في الآخـرة).

(١) رواه الترِّمذيِّ (٢٠٠٨) واللَّفظ له، وابن ماجه (١٤٤٣)، وأحمد (٨٣٢٥).
(٢) الكاشف عن حقائق السُّنن (٣٥٤/٤).

الحديث العشرون

التَّواضع وخفض الجناح للمؤمنين

عـن أَبِي رِفَاعَـة العَـدَوِيِّ رَضِيَ اللـه عَنـهُ قَـالَ: انْتَهَيْـتُ إِلَى النَّبِـيِّ ﷺ وَهُـوَ يَخْطُبُ، قَـالَ: فَقُلْـتُ: يَـا رَسُـولَ اللـهِ رَجُـلٌ غَرِيـبٌ، جَـاءَ يَسْأَلُ عَـنْ دِينِـهِ، لَا يَـدْرِي مَـا دِينُهُ، قَـالَ: فَأَقْبَـلَ عَـلَيَّ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ، وَتَـرَكَ خُطْبَتَـهُ حَتَّـى انْتَهَـى إِلَيَّ، فَـأُتِيَ بِكُـرْسِيٍّ، حَسِـبْتُ قَوَائِمَـهُ حَدِيدًا، قَـالَ: فَقَعَـدَ عَلَيْـهِ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ، وَجَعَـلَ يُعَلِّمُنِـي مِـمَّا عَلَّمَـهُ اللـهُ، ثُـمَّ أَتَى خُطْبَتَـهُ، فَأَتَـمَّ آخِرَهَـا.[١]

إفـــادات

قـال القُرطُبِـي رحمه الله[٢]: (فـإنَّ هـذا الرَّجـل الغريـب الَّـذي جـاء سـائلاً عـن دينـه؛ هـو مـن النَّـوع الَّـذي قـال فيـه النَّبـي ﷺ: «إنَّ ناسًـا يَأتُونَكـم مِـن أَقطَـارِ الأَرضِ يَطلُبُـونَ العِلـمَ، فاسـتَوصُوا بِهِـم خَـيراً»، فإنـه ﷺ كان لا يأمـر بـشيءٍ إلا كان أولَّ آخـذٍ بـه، وإذا نهـى عـن شيءٍ كان أوَّل تـاركٍ لـه).

(١) رواه مسلم (٨٧٦).

(٢) المُفهِم لما أَشكَلَ من تلخِيصِ كتاب مُسلم (٥١٤/٢).

وقال النَّووي رحمه الله[1]: (فيه: استحباب تلطُّف السَّائل في عبارته وسؤاله العالم، وفيه: تواضع النَّبي ﷺ ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم وخفض جناحه لهم، وفيه: المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهمِّ الأمور فأهمها).

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج (٦/١٦٥).

الحديث الواحد والعشرون

لــزوم الجمــاعة

عـن عمـر بـن الخطـاب رضي اللـه عنـه أنَّ رسـول اللـه ﷺ قـال: «عَلَيْكُـمْ بِالجَمَاعَـةِ وَإِيَّاكُـمْ وَالفُرْقَـةَ فَـإِنَّ الشَّـيْطَانَ مَـعَ الوَاحِـدِ وَهُوَ مِـنَ الِاثْنَـيْنِ أَبْعَـدُ، مَـنْ أَرَادَ بُحْبُوحَـةَ الجَنَّـةِ فَلْيَلْـزَمُ الجَمَاعَـةَ».[١]

إفـــادات

قـال المُنَـاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: («وعَلَيْكُـمْ بِالجَمَاعَـةِ»: أي أركان الدِّين والسَّـواد الأعظـم مـن أهـل السُّـنَّة، أي الزمـوا هديَهـم، فيجـب اتِّبـاع مـا هـم عليـه مـن العقائـد والقواعـد وأحـكام الدِّيـن، قـال ابـن جريـر: وإن كان الإمـام في غيرهـم، وعُلِـم منـه أنَّ الأمَّـة إذا أجمعـت عـلى شيءٍ لم يَجُـز خلافُهـا.

«وإيَّاكُـم والفُرْقَـة»: أي احـذروا الانفصـال عنهـا ومفارقتهـم مـا أمكـن، يقـال: فرَّقـتُ بـين الشَّـيئين: فصلـتُ بينهـما، وفرَّقـتُ بـين الحـقِّ والباطـل: فصلـتُ أيضًـا. «فَـإِنَّ الشَّـيْطَانَ مَـعَ الوَاحِـدِ وَهُـوَ مِـنَ الِاثْنَـيْنِ أَبْعَـدُ»).

(١) رواه الترِّمذيِّ (٢١٦٥).
(٢) فيضُ القدير شرح الجامع الصغير (٣/٧٨).

وقال الشَّوكاني رحمه الله[١]: («بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ» قال في النِّهاية: بُحبُوحَةُ الدَّار وَسَطُها، يُقال: بَحْبَحَ: إذا تمكَّن وتوسَّط المنزل والمَقَام، ... والمُراد أنَّ لزوم الجماعة سببُ الكونِ في بحبوحة الجنَّة، لأنَّ يد الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ إلى النَّار كما ثبت في الحديث).

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار (٣٦١/٨).

الحديث الثَّاني والعشرون

لــــزوم التَّفــــاؤل

عـن عائشـة رضي اللـه عنهـا قالـت: كَانَ النَّبـيُّ ﷺ يُعجِبُـهُ الفَـألُ الحَسَـنُ ويَكـرَهُ الطِّـيَرة.[١]

إفــــادات

قـال ابـن الأثـير رحمه الله[٢]: (معنـى التَّفـاؤل: مثـل أن يكـون رجـلٌ مريضٌ فيَتَفـاءل بمـا يَسـمع مـن كلامٍ، فيسـمعُ آخـرَ يقـولُ: يـا سـالم، أو يكـونَ طالـبَ ضالَّـةٍ فيَسـمع آخـر يقـول: يـا واجـد، فيقـع في ظنِّـه أنَّـه يـبرأ مـن مرضـه ويجـد ضالَّتـه).

وقـال المَـاوَردِي رحمه الله[٣]: (الفـأل فيـه تقويـةٌ للعـزم، وباعـثٌ عـلى الجـدِّ، ومعونـةٌ عـلى الظَّفَـر. فقـد تفـاءل رسـول الله ﷺ في غزواتـه وحروبـه، والمـراد بالتَّفـاؤل: انـشراحُ قلـب المؤمـن، وإحسـانَه الظـنَّ، وتوقُّـع الخـير).

(١) رواه ابن ماجه (٣٥٣٦) واللَّفظُ له ورواه أحمد (٨٣٩٣).

(٢) النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٤٠٦).

(٣) أدب الدُّنيَا والدِّين (٣١٩).

وقال ابن المُلَقِّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: (كان الشَّارع يستحبُّ الاسم الحَسَن والفأل الصَّالح، وقد جعل الله تعالى في فطرة النَّاس محبَّة الكلمة الحسنة والفأل الصَّالح والأنس به، كما جعل فيهم الارتياح للبشرى والمنظر الأنيق، وقد يمرُّ الرَّجل بالماء الصَّافي فيُعجبه وهو لا يشربه، وبالرَّوضة المنورة فتسرُّه وهي لا تنفعه).

(١) التَّوضيح شرح الجامع الصَّحيح (٢٧/٥٠٩).

الحديث الثَّالث والعشرون

ترجيح مُقتضي المحبَّة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»[1]

إفادات

قال ابن هُبَيْرَة رحمه الله[2]: (في هذا الحديث من الفقه أنَّ المؤمن لا يخلو من خُلُقٍ حَسِنٍ، فإنَّه إذا كانت المرأة مؤمنةً لم يَطَّرِد فيها ما يَكرهه المؤمن، والمؤمنة يحملها الإيمان على استعمالِ خصالٍ محمودةٍ يُحبُّها المؤمن، فيَحمِل ما لا يُحبُّ لما يُحبُّ، وإنَّما يَكرَهُ المؤمن من المؤمنة الخُلُقَ الَّذِي لا يَرضاه وفيها الخلق الَّذِي يرضاه، وبعد أن يكون إيمانُها موجودًا فإنَّه يغتفر لذلك ما يكون منها).

وقال الشَّوكاني رحمه الله[3]: (فيه الإرشاد إلى حُسن العِشرة، والنَّهي عن البغض للزَّوجة بمجرَّد كراهة خُلُقٍ من أخلاقها؛ فإنَّها لا

(١) رواه مسلم (١٤٦٩).

(٢) الإفصاح عن معاني الصِّحاح (١٩١/٨).

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار (٢٤٤/٦).

تخلـو مـع ذلـك عـن أمـرٍ يرضـاه منهـا، وإذا كانـت مشـتملةً عـلى المحبـوب والمكـروه؛ فـلا ينبغـي ترجيـحُ مُقتـضي الكراهـة عـلى مقتـضي المحبَّـة).

الحديث الرَّابع والعشرون

اعتقاد أنَّ أمر المُؤمِنِ كلُّه خير

عـن أبي يحيـى صهيـب بـن سـنان رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: «عَجَبًـا لِأَمْـرِ الْمُؤْمِـنِ، إِنَّ أَمْـرَهُ كُلَّـهُ خَـيْرٌ، وَلَيْـسَ ذَاكَ لِأَحَـدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِـنِ، إِنْ أَصَابَتْـهُ سَرَّاءُ شَـكَرَ، فَـكَانَ خَيْرًا لَـهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَـبَرَ فَـكَانَ خَـيْرًا لَـه »[1].

إفــــادات

قـال القُرطُبِـي رحمه الله[2]: (وذلـك أنَّ المؤمـن المذكـور إمَّـا أن يُبتـلى بمـا يَـضرُّه، أو بمـا يَـسرُّه، فـإن كان الأوَّل صـبر واحتسـب ورضي، فحَصَـل عـلى خـير الدُّنيـا والآخـرة وراحتهـما، وإن كان الثَّـاني، عـرف نعمـة اللـه عليـه ومنَّتـه فيهـا، فشـكرها وعمـل بهـا، فحصـل عـلى نعيـم الدُّنيـا ونعيـم الآخـرة).

وقـال المُنـاوي رحمه الله[3]: («إِنْ أَصَابَتْـهُ سرَّاءُ»: كصحـةٍ وسـلامةٍ ومـالٍ وجاهٍ، «شَـكَرَ »: اللـه عـلى مـا أعطـاه، «وكَانَ خَـيْرًا لَـهُ »: فإنَّـه

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) المُفهِم لما أَشكَلَ من تَلخِيصِ كتاب مُسلم (٦/٦٣٠).

(٣) فيضُ القدير شرح الجامع الصغير (٤/٣٠٢).

يُكتب في ديوان الشَّاكرين، «وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ »: كمصيبةٍ، «صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَه »: فإنَّه يَصيرُ من أحزاب الصَّابرين الَّذِين أثنى الله عليهم في كتابه المبين، فالعبد ما دام قلم التَّكليف جاريًا عليه فمناهج الخير مفتوحةٌ بين يديه؛ فإنَّه بين نعمةٍ يجب عليه شكر المنعم بها، ومصيبةٍ يجب عليه الصَّبر عليها، وأمرٍ يُنفذه ونهيٌ يجتنبه، وذلك لازمٌ له إلى الممات).

الحديث الخامس والعشرون

الاجتهـــاد في العمـــل

عن عــلي رضي اللــه عنــه قــال: كانَ رَسُــولُ اللــهِ ﷺ ذَاتَ يَــوْمٍ جَالِسًــا وَفِي يَــدِهِ عُــودٌ يَنْكُــتُ بِهِ، فَرَفَــعَ رَأْسَــهُ فَقَــالَ: «مَــا مِنْكُــمْ مِـنْ نَفْـسٍ إِلَّا وَقَـدْ عُلِـمَ مَنْزِلُهَـا مِـنَ الْجَنَّـةِ وَالنَّـارِ» قَالُـوا: يَـا رَسُـولَ اللـهِ فَلِـمَ نَعْمَـلُ؟ أَفَـلَا نَتَّكِلُ؟ قَـالَ: «لَا، اعْمَلُـوا، فَـكُلٌّ مُيَـسَّرٌ لِـمَا خُلِـقَ لَـهُ »، ثـمَّ قَرَأَ {فَأَمَّا مَـنْ أَعْطَـى وَاتَّقَـى * وَصَـدَّقَ بِالْحُسْـنَى} إلى قولـه: {فَسَــنُيَسِّرُهُ لِلْعُــسْرَى}[١].

إفـــادات

قـال ابـن تيميَّـة رحمه الله[٢]: (اللـه سـبحانه -وإن كان قـد تقـدَّم علمـه وكتابيـه وكلامـه بمـا سـيكون مـن السَّـعادة والشَّـقاوة- فمـمَّا قـدَّره أن يكـون ذلـك بالأسـباب الَّتِـي قدَّرها، فالسَّـعادة بالأعـمال الصَّالحة، والشَّـقاوة بالفجـور، وكذلـك الشِّـفاء الَّـذِي يقـدِّره للمريـض، يقـدِّره بالأدويـة والرقـى، وكذلـك سـائر مـا يقـدَّر مـن أمـر الدُّنيـا والآخـرة).

---

(١) رواه البخاري (٤٩٤٦) ومسلم (٢٦٤٧) واللَّفظ له.

(٢) الاستقامة (١٧٦/١).

وقال ابن القيِّم[١]: (فاتَّفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أنَّ القَدَر السَّابق لا يمنع العمل، ولا يُوجِب الاتِّكال عليه، بل يُوجب الجدَّ والاجتهاد.

ولهذا لمَّا سمع بعض الصَّحابة ذلك قال: «ما كنت أشدَّ اجتهادًا منيَّ الآن»، وهذا ممَّا يدلُّ على جلالة فقه الصَّحابة، ودِقَّة أفهامهم، وصِحَّة علومهم؛ فإنَّ النَّبي ﷺ أخبرهم بالقدر السَّابق وجريانه على الخليقة بالأسباب، وأنَّ العبد يَنال ما قُدِّر له بالسَّبب الَّذِي أُقدر عليه، ومُكِّن منه، وهُيِّئ له، فإذا أتى بالسَّبب أوصله إلى القَدَر الَّذِي سَبَق له في أمِّ الكتاب، وكلَّما ازداد اجتهادًا في تحصيل السَّبب؛ كان حصول المقدَّر له أدنى إليه.

وهذا كما إذا قُدِّر له أن يكون من أعلم أهل زمانه، فإنَّه لا يَنال ذلك إلَّا بالاجتهاد والحرص على التَّعلم وأسبابه، وإذا قُدِّر له أن يُرزق الولد لم ينل ذلك إلَّا بالنِّكاح أو التَّسري والوطء، وإذا قُدِّر له أن يستغل من أرضه من المَغْل كذا وكذا لم ينله إلا بالبذر وفعل أسباب الزَّرع، وإذا قُدِّر له الشِّبع والرَّي والدِّفء؛ فذلك موقوفٌ على الأسباب المُحصِّلة لذلك من الأكل والشُّرب واللِّبس، وهذا شأن أمور المعاش والمعاد، فمن عطَّل العمل اتِّكالًا على القدر السَّابق؛ فهو بمنزلة من عطَّل الأكل والشُّرب والحركة في المعاش وسائر أسبابه اتِّكالًا على ما قُدِّر له).

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل (١/٨٦-٨٧).

الحديث السَّادس والعشرون

تفويض المقادير لله

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[(١)].

إفـــادة

قال السَّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: (فإذا أصاب العبد ما يكرهه، فلا يَنسب ذلك إلى ترك بعض الأسباب الَّتِي يَظن نفعها لو فعلها، بل يسكن إلى قضاء الله وقدره ليزداد إيمانه، ويسكن قلبه وتستريح نفسه؛ فإنَّ «لو» في هذه الحال تفتح عمل الشَّيطان بنقص إيمانه بالقدر، واعتراضه عليه، وفتح أبواب الهمِّ والحزن المُضعف للقلب. وهذه الحال الَّتِي أرشد إليها النَّبي ﷺ هي أعظم الطُّرق لراحة القلب، وأدعى لحصول القناعة والحياة الطيِّبة، وهو الحرص على الأمور النَّافعة، والاجتهاد في تحصيلها، والاستعانة بالله عليها، وشكر الله على ما يسَّرَه منها، والرِّضا عنه بما فات، ولم يُحصِّل منها).

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرَّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص٣٠).

الحديث السَّابع والعشرون

الرِّضا بالقضاء

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النَّبِي ﷺ قال: «إنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظمِ البَلَاءِ، وإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَومًا ابتَلَاهم، فَمَن رَضِي فَلَهُ الرِّضَا، ومَن سَخِطَ فَلَه السَّخَطُ»[(١)].

إفادات

قال المُلَّا علي قاري رحمه الله[(٢)]: («إن عِظَم الجَزَاءِ».. عظمة الأجر وكثرة الثَّواب مقرونٌ «مع عِظَم البَلَاءِ» كيفيةً وكميَّةً، جزاءً وفاقًا، وأجرًا طِباقًا).

وقال الطِّيبي رحمه الله[(٣)]: («فمن رَضِي فَلَهُ الرِّضَا»: شرطٌ وجزاءٌ، فُهِمَ منه أنَّ رضا الله تعالى مَسبوقٌ برضا العبد، ومُحالٌ أن يرضى العبد عن الله إلا بعد رضا الله عنه، كما قال: {رضي الله عنهم ورضوا عنه}، ومُحالٌ أن يحصل رضا الله ولا يحصل رضا العبد في الآخرة، كما قال تعالى: {يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى

(١) رواه التِّرمذيِّ (٢٣٩٦).
(٢) مِرقَاةُ المَفَاتِيح شرح مِشكَاة المَصَابِيح (١٤٢/٣).
(٣) الكاشف عن حقائق السُّنن (٣٥٠/٤).

ربك راضية مرضية} فعن الله الرِّضا أزلًا وأبدًا، سابقًا ولاحقًا).

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ[(١)]: (ومن علاجها [أي علاج حرِّ المصيبة وحزنها]: أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له، فمن رضي فله الرِّضا، ومن سخط فله السَّخَط. فحظُّك منها ما أَحَدَثته لك، فاختر خير الحظوظ أو شرِّها).

وقال الفيومي رَحِمَهُ اللهُ[(٢)]: (فالبلاء دليل إرادة الخير أو عقوبة الذَّنب، وعذاب الدُّنيا أهون من عذاب الأخرى. من عَظُمَ بلاؤه عَظُمَ أجره، وهو دالٌّ على محبَّة الله تعالى لعبده؛ إذ عجَّل عقوبته في الدُّنيا وآجره في العقبى).

(١) زاد المعاد (٢٦٧/٤).

(٢) فتح القريب المجيب على التَّرغيب والتَّرهيب (٣٨٢/١٣).

الحديث الثّامن والعشرون

تطـيـيب النَّـفـس

حَدَّثَنا مُعاذُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ خُبَيبٍ، عن أبيه، عن عمِّه، قال: كُنَّا في مَجلِسٍ، فطَلَعَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ وعلى رَأسِه أثَرُ ماءٍ، فقُلْنا: يا رسولَ اللهِ، نَراكَ طيِّبَ النَّفْسِ، قال: أجَلْ، قال: ثم خاضَ القَومُ في ذِكْرِ الغِنى، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا بَأسَ بالغِنى لِمَنِ اتَّقى اللهَ، والصِّحَّةُ لِمَنِ اتَّقى اللهَ خَيرٌ مِن الغِنى، وطِيبُ النَّفْسِ مِن النِّعَم»[1].

إفـــادة

قال المُناوي رحمه الله[2]: («لا بَأسَ بالغِنى لِمَنِ اتَّقى» فالغنى بغير تقوى هَلَكَة، يجمعه من غير حقه ويمنعه ويضعه في غير حقه، فإذا كان مع صاحبه تقوى فقد ذهب البأس وجاء الخير، قال محمد بن كعب: الغني إذا اتقى آتاه الله أجره مرتين؛ لأنَّه امتحنه فوجده صادقًا، وليس من أُمتُحِن كمن لا يمتحن.

«والصِّحَّةُ لِمَنِ اتَّقى خَيرٌ مِن الغِنى» فإنَّ صحَّة البدن عونٌ

(١) رواه ابن ماجه (٢١٤١)، وأحمد (٢٣١٥٨) واللَّفظ له.
(٢) فيضُ القدير شرح الجامع الصغير (٦/٣٨٢).

على العبادة، فالصِّحة مالٌ ممدودٌ، والسَّقيم عاجزٌ، والعمر الَّذي أعطى به يَقُوم العبادة، والصِّحة مع الفقر خيرٌ من الغنى مع العجز، والعاجز كالميِّت.

«وطِيبُ النَّفسِ من النَّعِيم» لأنَّ طِيبَها من روح اليقين، وهو النُّور الوارد الَّذي أشرق على الصَّدر، فإذا استنار القلب ارتاحت النَّفس من الظُّلمة والضِّيق والضَّنَك، فإنَّها لشهواتها في ظُلْمةٍ، والقلب مُرتبكٌ فيها، فالسَّائر إلى مطلوبه في ظُلمةٍ يشتدُّ عليه السَّير، ويَضيقُ صدره، ويتنكَّد عيشه، ويَتعب جسمه، فإذا أضاء له الصُّبح، ووضح له الطَّريق، وذهبت المخاوف، وزالت العُسرة؛ ارتاح القلب واطمأنَّت النَّفس وصارت في نعيمٍ).

الحديث التَّاسع والعشرون

أحبّ الأعمال إلى الله

عـن أنـس بـن مالـك رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: «وجُعِلَت قُرَّةُ عَينِي فِي الصَّـلَاة»[1].

إفـــادات

قال المَـرْوَزِي رحمه الله[2]: (ولـو لم يسـتدلَّ المؤمـن عـلى أنَّ الصَّـلاة أحـبُّ الأعـمال إلى اللـه إلا بمـا أَلْـزَمَ قَلـب حبيبـه المصطفـى محمـد ﷺ مـن حـبِّ الصَّـلاة، وجَعَـلَ قُـرَّة عينـه فيهـا دون سـائر الأعـمال كلِّهـا، وإن كان ﷺ مُحِبًّـا لجميـع الطَّاعـات، ولكنَّـه خـصَّ الصَّـلاة فأخـبر أنَّ قـرَّة عينـه جُعِـل في الصَّـلاة لربِّـه، لكفـاه بذلـك دليـلًا).

قـال ابـن القيِّـم رحمه الله[3]: (وأمَّـا الصَّـلاة، فشـأنُها في تفريـح القلـب وتقويتـه، وشرحـه وابتهاجـه ولذَّتـه أكـبر شـأنٍ، وفيهـا مـن اتِّصـال القلـب والـرُّوح باللـه، وقربـه والتَّنعُّـم بذكـره، والابتهـاج بمناجاتـه، والوقـوف بـين يديـه، واسـتعمال جميـع البـدن وقـواه وآلاتـه في

(١) رواه النَّسائي (٣٩٤٠)، وأحمد (١٤٠٣٧) مطوَّلًا.

(٢) تعظيم قدر الصَّلاة (٣٣١/١).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (١٩٢/٤).

عبوديتـه، وإعطـاء كلِّ عضـوٍ حظَّـه منهـا، واشـتغاله عـن التَّعلـق بالخلـق ومُلَابَسَـتِهم ومحاوراتهـم، وانجـذاب قـوى قلبـه وجوارحـه إلى ربِّـه وفاطـره، وراحتـه مـن عـدوِّه حالـة الصَّـلاة؛ مـا صـارت بـه مـن أكـبر الأدويـة والمُفرحـات. والأغذيـةُ لا تُلَائـم إلا القلـوب الصَّحيحـة. وأمَّـا القلـوب العليلـة، فهـي كالأبـدان لا تناسـبها إلا الأغذيـة الفاضلـة.

فالصَّـلاة مـن أكـبر العـون عـلى تحصيـل مصالـح الدُّنيـا والآخـرة، ودفـع مفاسـد الدُّنيـا والآخـرة، وهـي منهـاةٌ عـن الإثـم، ودَافعـةٌ لأدواء القلـوب، ومَطـردةٌ للـدَّاء عـن الجسـد، ومنـوِّرةٌ للقلـب، ومبيِّضـةٌ للوجـه، ومنشِّـطة للجـوارح والنَّفـس، وجالبـةٌ للـرِّزق، ودافعـةٌ للظُّلـم، ونـاصرةٌ للمظلـوم، وقامعـةٌ لأخـلاط الشَّـهوات، وحافظـةٌ للنِّعمـة، ودافعـةٌ للنَّقمـة، ومُنزلـةٌ للرِّحمـة، وكاشـفةٌ للغمَّـة، ونافعـةٌ مـن كثـيرٍ مـن أوجـاع البطـن).

الحديث الثّلاثون

الصِّيــــام للـــه

عـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه أنَّ رسـول اللَّـهِ ﷺ، قـال: «الصِّيَـامُ جُنَّـةٌ فلا يَرْفُثْ ولَا يَجْهـلْ، وإنِ امْـرُؤٌ قَاتَلَـهُ أوْ شَـاتَمَه فَلْيَقُـلْ: إنِّي صَائِـمٌ مَرَّتَـيْنِ، وَالَّـذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَخُلُوفُ فَـمِ الصَّائِـمِ أطْيَـبُ عِنْـدَ اللَّـهِ تَعَـالَى مِـن رِيـحِ المِسْـكِ. يَـتْرُكُ طَعَامَـهُ وشَرَابَـهُ وشَـهْوَتَهُ مِـن أجْلِي. الصِّيَـامُ لِي، وأَنَـا أجْـزِي بـه، والحَسَـنَةُ بعَـشْرِ أمْثَالِهَـا»[1].

إفـــادات

قـال الخطَّـابي رحمه الله[2]: («الصِّيَامُ جُنَّـةٌ» يُحتمـل أن يكـون أراد بـه جُنَّـةٌ مـن النَّـار، ووقايـةٌ للصَّائـم دونهـا. ويُحتمـل أن يكـون أراد أنَّـه جُنَّـةٌ مـن المعـاصي؛ لأنَّـه يكـسر الشَّـهوة ويُضعـف القـوَّة، فيمتنـع بـه الصَّائـم عـن مواقعـة المعـاصي، فصـار كأنَّـه جَنَّـةٌ وسِـترٌ دُونَهـا).

وقـال ابـن عبـد الـبرِّ رحمه الله[3]: (وخُلُـوفُ فَـمِ الصَّائِـمِ: مـا يَعتريـه في آخـر النَّهـار مـن التَّغـيُّر، وأكـثر ذلـك في شـدَّة الحـرِّ، ومعنـى قولـه:

(١) رواه البخاري (١٨٩٤).

(٢) أعلام الحديث (٢/٩٣٩).

(٣) التَّمهيد لما في الموطَّأ من المعاني والأسانيد (١١/٦٦٣).

«لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِن رِيحِ المِسْكِ»: يريد أزكى عند الله، وأقرب إليه، وأرفع عنده من ريح المسك. وهذا في فضل الصِّيام، وثواب الصَّائم).

وقال السِّيوطِي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: («الصِّيَامُ لِي، وأَنَا أَجْزِي بِه» اُختُلف في معناه، مع أنَّ الأعمال كلَّها لله تعالى، وهو الَّذِي يَجزِي بها، فقيل: إنَّما خصَّ الصَّوم لأنَّه ليس يَظهر من ابن آدم، ولا يُطَّلَع عليه، وإنَّما هو شَيءٌ في القلب بخلاف سائر الأعمال، فإنَّها أفعالٌ وحركاتٌ تُرى وتُشاهد، ويُؤيِّده حديث: «الصِّيَامُ لا رِيَاءَ فِيه». أخرجه البيهقيُّ في «الشَّعب».

وقيل: المعنى أنَّ العبادات قد كُشِفَ مقادير ثوابها للنَّاس، وأنَّها تُضَعَّف من عشرةٍ إلى سبعمئةٍ، إلَّا الصَّوم، فإنَّ الله تفرَّد بعلم مقدار ثوابه، وتَضْعِيفُ حسناته، فقوله: «وأَنَا أَجزِي بِه» أي جزاءً كثيرًا من غير تعيينٍ لمقداره كقوله: {إنَّما يوفَّى الصَّابرون أجرهم بغير حساب}، ويُؤيِّده حديث: «إِلَى سَبْعَمِئَةِ ضِعفٍ إلَّا الصَّومَ، فإنَّهُ لا يَدرِي أَحَدَهَا فِيهِ» أخرجه سَمُّويَه، وللطَّبراني: «الأَعمَالُ عِندَ الله سَبُعٌ»، وفيه: «وعَمَلٌ لَا يَعلمُ ثَوَابَ عَامِلِهِ إلَّا الله وهو الصِّيَام».

وقيل: معناه أنَّه أحبُّ العبادات إليَّ والمقدَّمُ عندي، وقيل: لأنَّ الصِّيام لم يُعبد به غير الله بخلاف الصَّلاة والصَّدقة والطَّواف، ونحو ذلك، وقيل: «إنَّ جَمَيعَ العِبَادَاتِ تُوفِي مِنهَا مَظَالِمَ العِبَادِ إلَّا الصَّوم» أخرجه البيهقيُّ عن ابن عيينة قال: «إذا كان يوم

(١) التَّوشيح شرح الجامع الصحيح (٤/٤١٥).

القيامـة يُحاسـب اللـه عبـده ويُـؤدِّي مـا عليـه مـن المظـالم مـن عملـه حتَّـى لا يبقـى لـه إلا الصَّـوم، فيتحمَّـل اللـه عـلى مـا بَقِـي عليـه مـن المظـالم ويُدْخِلُـه الصَّـوم الجنَّـة»).

الحديث الواحد والثّلاثون

الإتيان إلى النَّاس بما تُحِبُ أن يُؤتى إليك

عن عبد الله بن عمرو بن العَاصِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أحبَّ مِنكُم أنْ يُزَحْزَحَ عنِ النَّارِ، ويَدْخُلَ الجنَّةَ، فلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وهوَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخَرِ، ولْيَأْتِ إلى النَّاسِ، الَّذي يُحِبُّ أنْ يُؤْتَى إِليه»[١].

إفادات

قال ابن عَلَّان رحمه الله[٢]: (فمن أحبَّ أن يُخرج نفسه من النَّار ويَدخُل الجنَّة؛ أي يتسبَّب في عدم دخوله النَّار ابتداءً، مجاوزًا عنها إلى الجنَّة)، ثمَّ قال في معنى: «فلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وهوَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخَرِ» (والمراد: ليَدُم على الإيمان بذلك حتى يأتيَه الموت وهو كذلك، فهو في الحقيقة أمرٌ بدوامِ الإيمان، ونظيره قوله تعالى: {ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} [آل عمران: ١٠٢]).

وقال النَّووي رحمه الله[٣]: (هذا من جوامع كلمه وبدائع حكمه،

(١) رواه مسلم (١٨٤٤).

(٢) دليل الفالحين لطُرُق رياض الصَّالحين (٥/ ١٣١).

(٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج (١٢/٢٣٣).

وهـذه قاعـدةٌ ينبغـي الاعتنـاء بهـا، وهـي أنَّ الإنسـان يلـزم ألا يفعل مـع النَّـاس إلا مـا يُحـبُّ أن يفعلـوه معـه).

الحديث الثَّاني والثَّلاثون

السَّماحة في المعاملة

عـن جابـر بـن عبـد اللـه رضي اللـه عنـه أنَّ رسـول اللـه ﷺ قـال: «رَحِـمَ اللَّـهُ رَجُـلًا سَـمْحًا إِذَا بَـاعَ، وَإِذَا اشْـتَرَى، وَإِذَا اقْتَـضَى »[1].

إفـــادات

قـال ابـن بَطَّـال رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: (فجـاء التَّرغيـب في كلا الوجهـين، في حُسـن التَّقـاضي لـربِّ الدَّيـن، وفى حُسـن القضـاء للـذَّي عليـه الدَّيـن، كُلٌّ قـد رغـب في الأخـذ بأرفـع الأحـوال، وتـرك المشـاحة في القضـاء والاقتضـاء، واسـتعمال مـكارم الأخـلاق في البيـع والـشِّراء والأخـذ والإعطـاء).

وقـال ابـن هُبَـيْرَة رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: (المشـاحة في البيـع والـشرِّى أمـارةٌ عـلى البخـل، ودليـلٌ عـلى الشُّـحِّ، ولا سـيَّما مـع الإخـوان مـن المسـلمين؛ الَّذِيـن ينبغـي إيثارهـم بالـشَّيء، وتقتـضي المـروءة إعطاءهـم بـلا ثمـنٍ، فـإذا باعهـم بثمـنٍ فـلا أيـسر مـن أن يقـف عـلى أنَّـه سـيكون

(١) رواه البخاري (٢٠٧٦).
(٢) شرح صحيح البخاري (٦/٥١٧).
(٣) الإفصاح عن معاني الصِّحاح (٨/٣٢٨).

سـمحًا بائعًـا، وسـمحًا مشـتريًا، وسـمحًا متقضِّيًـا، فإنَّـه إذا اسـتبدل السَّـماحةَ العـسرَ في كلِّ ذلـك دالًا مـن شـيمه عـلى أنَّـه ليـس تنَالُـه دعـوة الرَّسـول -ﷺ).

الحديث الثَّالث الثَّلاثون

تــرك الشُّبُهــات

عـن الحسـن بـن عـلي رضي اللـه عنـه قـال: حفظـت مـن رسـول اللـه ﷺ: «دَعْ مَـا يَرِيبُـكَ إِلَى مَـا لَا يَرِيبُـكَ، فَـإِنَّ الصِّـدْقَ طُمَأْنِينَـةٌ، وَإِنَّ الكَـذِبَ رِيبَـةٌ».[(١)]

إفـــادات

قـال التُّوربَشْـتِي رحمه الله[(٢)]: (ومعنـاه: إذا وجـدت نفسـك ترتـاب في الـشَّيء فاتركـه؛ فـإنَّ نفـس المـؤن تطمـئنُّ إلى الصِّـدق، وترتـاب مـن الكـذب، فارتيابـك في الـشَّيء مُنبـئٌ عن كونه باطـلًا، أو مظنَّـةً للباطل فاحـذره، واطمئنانـك إلى الـشَّيء مُشـعرٌ بكونـه حقًّـا فاستمسـك بـه، والصِّـدق والكـذب يُسـتعملان في المقـال والفعـال، ومـا يُحقَّـق أو يُبطَـلُ مـن الاعتقـاد).

وقـال ابـن رجـب رحمه الله[(٣)]: (معنـى هـذا الحديـث يرجـع إلى الوقـوف

(١) رواه الترِّمذيّ (٢٥١٨).
(٢) المُيسرَّ في شرح مصابيح السُّنَّة (٢/٦٥٨).
(٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم (١/٢٩٩-٣٠٠).

عنـد الشُّـبُهات واتِّقائهـا، فـإنَّ الحـلال المحـض لا يَحصُـل لمؤمـنٍ في قلبـه منـه ريـب -والرَّيـب: بمعنـى القلـق والاضطـراب- بـل تَسـكُن إليـه النَّفـس، ويطمـئنُّ بـه القلـب، وأمَّـا المشـتبهات فيحصـل بهـا للقلـوب القلـق والاضطـراب الموجـب للشَّـك).

الحديث الرَّابع والثَّلاثون

الاستغناء بالله عن خلقه

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده، فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ »[1].

إفـــادات

قال القُرطُبي رحمه الله[2]: (وقوله: « وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ»؛ أي عن السُّؤال للخلق. «يُعِفَّهُ اللَّهُ»؛ أي يُجازه على استعفافه بصيانة وجهه، ورفع فاقته.

وقوله: « وَمَنْ يَسْتَغْنِ »؛ أي بالله وبما أعطاه، «يُغْنِهِ»؛ أي يخلق في قلبه غنىً، أو يُعطه ما يستغني به عن الخلق.

(١) رواه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣).

(٢) المُفهِم لما أشكَلَ من تلخِيصِ كتاب مُسلم (٣/٩٩).

وقولـه: «وَمَـنْ يَتَصَـبَّرْ»؛ أي يسـتعمل الصَّـبر. و«يُصَـبِّرْهُ»: يُقـوِّه ويُمكِّنـه مـن نفسـه حتـى تنقـاد لـه وتُذعِـنَ لتحمُّـل الشَّـدائد، وعنـد ذلـك يكـون اللـه معـه، فيُظفِـرُه بمطلوبـه، ويُوصِلُـه إلى مرغوبـه).

وقـال الطِّيبـي رحمه الله[1]: (يريـد أنَّ مـن طلـب مـن نفسـه العفـة عـن السُّـؤال، ولم يُظهـر الاسـتغناء؛ يعفُّـه اللـه، أي يُصـيِّره عفيفًـا. ومـن ترقَّـى مـن هـذه المرتبـة إلى مـا هـو أعـلى مـن إظهـار الاسـتغناء مـن الخلـق، لكـن إن أعطـي شـيئًا لم يـردَّه، فيَمْـلأ اللـه قلبـه غنـىً. ومـن فـاز بالقِـدْحِ المُعـلَّى وتصـبَّر وإن أعطـى لم يُقبـل فهـو هـو).

وقـال السَّـعدي رحمه الله[2]: (وإنمَّـا كان الصَّـبر أعظـم العطايـا، لأنَّـه يتعلَّـق بجميـع أمـور العبـد وكمالاتـه، وكلُّ حالـةٍ مـن أحوالـه تحتـاج إلى صـبر. فإنَّـه يحتـاج إلى الصَّـبر عـلى طاعـة اللـه حتـى يقـوم بهـا ويؤدِّيهـا، وإلى صـبرٍ عـن معصيـة اللـه حتـى يتركهـا للـه، وإلى صـبرٍ عـلى أقـدار اللـه المؤلمـة فـلا يتسـخَّطها، بـل إلى صـبرٍ عـلى نعـم اللـه ومحبوبـات النَّفـس، فـلا يَـدَعِ النَّفـس تَمـرحُ وتَفـرحُ الفـرح المذمـوم، بـل يَشـتغل بشُـكرِ اللـه، فهـو في كلِّ أحوالـه يحتـاج إلى الصَّـبر).

(١) الكاشف عن حقائق السُّنن (٥/٥١٥).
(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرَّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص٩٠).

الحديث الخامس والثّلاثون

مِلْكُ النَّفسِ عندَ الغَضَبِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»[(١)].

إفــــادات

قال ابن العربي رحمه الله[(٢)]: («الصَّرُّعَة» يريد: الَّذي يصرع النَّاس ويكثر ذلك منه، كما يُقال للرَّجل الكثير النَّوم: نُوَمة، وللكثير الحفظ: حُفَظة بالتَّخفيف، وما أشبه ذلك).

وقال البَيضاوي رحمه الله[(٣)]: (والمعنى: أنَّ القويَّ في الحقيقة ليس من يُصارع الرِّجال ويَغلِب عليهم، بل القويُّ من يُقاوم نفسه، ويغلب عليها، بحيث يَملِكُها حينما تكون أكثرَ تمردًا وأشدَّ تَفَرعُنًا، وذلك عند الغضب).

(١) رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).
(٢) المسالك في شرح موطأ مالك (٢٥٧/٧).
(٣) تحفة الأبرار شرح مصابيح السُّنَّة (٢٧٦/٣).

وقال ابن عبد البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: (وقد جعل رسول الله ﷺ للذي يَمْلِك نفسه ويَغلِبُها، من القوَّة ما ليس للَّذِي يَغلب غيره. وفي هذا دليلٌ على أنَّ مجاهدة النَّفس أصعب مرامًا وأفضلُ من مجاهدة العدو).

(١) التَّمهيد لما في الموطَّأ من المعاني والأسانيد (٢٨٣/٤).

الحديث السَّادس والثَّلاثون

الاقتصـــاد في العبـــادة

عـن أبي جُحيفـة وَهـبِ بـن عبـد اللـه السُّـوَائِي رضي اللـه عنـه قـال: آخَـى النَّبِـيُّ ﷺ بَـيْنَ سَـلْمَانَ، وَأَبِي الـدَّرْدَاءِ، فَـزَارَ سَـلْمَانُ أَبَـا الـدَّرْدَاءِ، فَـرَأَى أُمَّ الـدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَـالَ لَهَـا: مَـا شَـأْنُكِ؟ قَالَـتْ: أَخُـوكَ أَبُـو الـدَّرْدَاءِ لَيْـسَ لَـهُ حَاجَـةٌ فِي الدُّنْيَـا، فَجَـاءَ أَبُـو الـدَّرْدَاءِ، فَصَنَـعَ لَـهُ طَعَامًا، فَقَـالَ: كُلْ فَـإِنِّي صَائِمٌ، قَـالَ: مَـا أَنَـا بِـآكِلٍ حَتَّـى تَـأْكُلَ، فَـأَكَلَ، فَلَـمَّا كَانَ اللَّيْـلُ ذَهَـبَ أَبُـو الـدَّرْدَاءِ يَقُومُ، فَقَـالَ: نَـمْ، فَنَـامَ، ثُـمَّ ذَهَـبَ يَقُومُ، فَقَـالَ: نَـمْ، فَلَـمَّا كَانَ آخِـرُ اللَّيْلِ، قَـالَ سَـلْمَانُ: قُـمِ الآنَ، قَـالَ: فَصَلَّيَا، فَقَـالَ لَـهُ سَـلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّـكَ عَلَيْـكَ حَقًّـا، وَلِنَفْسِـكَ عَلَيْـكَ حَقًّـا، وَلِأَهْلِـكَ عَلَيْـكَ حَقًّـا، فَأَعْـطِ كُلَّ ذِي حَـقٍّ حَقَّـهُ، فَـأَتَى النَّبِـيَّ ﷺ فَذَكَـرَ ذَلِـكَ لَهُ، فَقَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «صَـدَقَ سَـلْمَانُ».(١)

إفـــادات

قـال الخطَّـابي رحمه الله(٢): (وقولـه: «إنَّ لِنَفسِـكَ حَقًّـا» أي في الإبقـاء عليهـا، فإنَّـك إنَّمـا تَسـتخرج منهـا الطَّاعـة مع بقائهـا وسـلامة قواها. وقولـه: «ولأهلِـكَ حَقًّـا» أي في العـشرة وإيفـاء حقـوق الصُّحبـة).

(١) رواه البخاري (٦١٣٩).

(٢) أعلام الحديث (٦٤١/١).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فوائد الحديث[1]: (أنَّ الأولى في العبادة تقديم الواجبات على المندوبات، وأنَّ من تكلَّف الزِّيادة على ما طُبِعَ عليه يقع له الخلل في الغالب، وفيه: الحضُّ على ملازمة العبادة؛ لأنَّه ﷺ مع كراهته له التَّشديد على نفسه؛ حضَّه على الاقتصاد، كأنَّه قال له: ولا يمنعك اشتغالك بحقوق من ذُكِر أن تضيِّع حق العبادة وتترك المندوب جملةً، ولكن اِجمع بينهما).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/٣٩).

الحديث السَّابع والثَّلاثون

المُداومة على العمل

عـن أنـسٍ رَضِيَ اللـه عَنـهُ قَـالَ: جَـاءَ ثَلاَثَـةُ رَهْـطٍ إِلَى بُيُـوتِ أَزْوَاجِ النَّبِـيِّ ﷺ، يَسْـأَلُونَ عَـنْ عِبَـادَةِ النَّبِـيِّ ﷺ، فَلَـمَّا أُخْـبِرُوا كَأَنَّهُـمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُـوا: وَأَيْـنَ نَحْـنُ مِـنَ النَّبِـيِّ ﷺ؟ قَـدْ غُفِـرَ لَـهُ مَـا تَقَـدَّمَ مِـنْ ذَنْبِـهِ وَمَـا تَأَخَّرَ، قَـالَ أَحَدُهُـم: أَمَّـا أَنَـا فَـإِنِّي أُصَـلِّي اللَّيْـلَ أَبَدًا، وَقَـالَ آخَـرُ: أَنَـا أَصُـومُ الدَّهْـرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَـالَ آخَـرُ: أَنَـا أَعْتَـزِلُ النِّسَـاءَ فَـلاَ أَتَـزَوَّجُ أَبَـدًا، فَجَـاءَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَـال: «أَنْتُـمُ الَّذِيـنَ قُلْتُـمْ كَـذَا وَكَـذَا، أَمَـا وَاللَّـهِ إِنِّي لَأَخْشَـاكُمْ لِلَّـهِ وَأَتْقَاكُـمْ لَـهُ، لَكِنِّـي أَصُـومُ وَأُفْطِـرُ، وَأُصَـلِّي وَأَرْقُـدُ، وَأَتَـزَوَّجُ النِّسَـاءَ، فَمَـنْ رَغِـبَ عَـنْ سُـنَّتِي فَلَيْـسَ مِنِّـي»[(١)].

إفـــادات

قـال ابـن هُبَـيْرَة رحمه الله[(٢)]: (وأمَّـا قولـه -ﷺ: «إِنِّي لَأَخْشَـاكُمْ لِلَّـهِ وَأَتْقَاكُـمْ لَـهُ» فإنَّـه قالـه جوابًـا للقائلـين: إنَّـا لسـنا كرسـول اللـه ﷺ؛ لأنَّـه قـد غُفِـر لـه مـا تقـدَّم مـن ذنبـه ومـا تأخَّـر، فأعلمهـم

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣).

(٢) الإفصاح عن معاني الصِّحاح (٥/٢٥٣).

أنَّـه لم يـزده ذلـك إلا خشـيةً مـن اللـه واتقـاءً لـه؛ لئـلَّا يظنُّـوا أنَّـه خفَّـف عبـادة ربِّـه اتِّـكالًا عـلى أنَّـه قـد غُفِـر لـه مـا تقـدَّم مـن ذنبـه ومـا تأخـر، ولم يكـن كذلـك، بـل الَّـذِي فعلـه هـو الغايـة القصـوى في الجمـع بـين العبـادات كلهـا، وعـمارة الأرض بأسرهـا، ولا يكـون الإنسـان قـادرًا عـلى اتِّبـاع أمـر رسـول اللـه ﷺ في عـمارة الطُّـرُق بأسرهـا، حتـى يكـون وفـق الـشَّرع، فـيرى النِّـكاح عبـادة، والنِّظـر عبـادة، إلى غيرهـما مـن الأحـوال الَّتِـي يقـوى عـلى عـمارة جميـع الطُّـرُق).

وقـال زكريـا الأنصـاري رحمه الله[1]: (أراد ﷺ بذلـك ردَّ مـا بنـى القـوم المذكـورون عليـه أمرهـم؛ حيـثُ أعلمهـم أنَّـه مـع كونـه لا يُبالـغ في التَّشـديد في العبـادة؛ أخـشى للـه وأتقـى مـن الَّذِيـن يشـدِّدون، لأنَّ المُشـدِّد منهـم لا يَأمـن منـه الملـل، بخـلاف المقتصـد فإنَّـه يأمـن منـه فيسـتمر عملـه، وخـير العمـل مـا دام عليـه صاحبـه).

(١) مِنحَةُ البَاري بشرح صحيح البخاري (٣٢٦/٨).

الحديث الثّامن والثّلاثون

حفظ اللِّسان

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِن أَصْحَابِي عَن أَحَدٍ شَيئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَن أَخرُجَ إِليكُم وأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»(١).

إفادات

قال المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ اللهُ(٢): («لا يُبَلِّغُنِي» بتشديد اللام ويُخفَّف، وهو نفي بمعنى النَّهي، وفي نسخةٍ بالجزم؛ أي لا يُوصلني، «أَحَدٌ مِن أَصْحَابِي»: بيانٌ لأحدٍ، «عَن أَحَدٍ»: أي عن قبل أحدٍ منهم أو من غيرهم من المسلمين، «شَيئًا»: أي ممَّا أكرهه وأغضب عليه، وهو عامٌّ في الأفعال والأقوال بأن شتم أحدًا وآذاه وقال فيه خصلةَ سوءٍ. «فَإِنِّي أُحِبُّ أَن أَخرُجَ إِليكُم»: أي من البيت وألاقيكم، «وأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»: أي من مساويكم).

(١) رواه أبي داود (٤٨٦٠) واللَّفظ له والترِّمذيِّ (٣٨٩٦).
(٢) مِرقَاةُ المَفَاتِيح شرح مِشكَاة المَصَابِيح (٧/ ٣٠٤٦).

وقال ابن المَلَك رحمه الله[1]: («فَإِنِّي أُحِبُّ أَن أَخرُجَ إِليكُم وأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»؛ أي: من الغلّ والحقد، وقيل: معناه أنَّه صلى الله عليه وسلم يتمنَّى أن يخرج من الدُّنيا وقلبُه راضٍ عن أصحابه من غير حقدٍ على أحدٍ منهم).

(١) شرح مصابيح السُّنَّة (٤٠١/٦).

الحديث التَّاسع والثَّلاثون

الأخـــذ بالظَّـــاهر

عـن أبي سـعيد الخـدري رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: «إِنِّي لَـمْ أُومَـرْ أَنْ أُنَقِّـبَ عَـنْ قُلُـوبِ النَّـاسِ وَلاَ أَشُـقَّ بُطُونَهُـمْ»[١].

إفـــادات

قـال النَّـووي رحمه الله[٢]: (معنـاه إنيِّ أُمـرت بالحكـم بالظَّاهـر، واللـه يتـولَّى السَّرائـر كـما قـال ﷺ: «فـإذا قالـوا ذلـك فقـد عصمـوا مني دماءهـم وأموالهـم إلا بحقِّهـا، وحسـابهم عـلى اللـه»).

وقـال المُنـاوي رحمه الله[٣]: («إِنيِّ لَـمْ أُومَـرْ أَنْ أُنَقِّـبَ » بشـدِّ القـاف: أُفتِّش، «عَـنْ قُلُـوبِ النَّـاسِ»: لأعلـم مـا فيهـا، «وَلاَ أَشُـقَّ بُطُونَهُـمْ»: يعنـي لم أؤمـر أن أستكشـف مـا في ضمائرهـم، بـل أُمـرتُ بالأخـذ بالظَّاهـر، واللـه يتـولَّى السَّرائـر).

وقـال الصَّنعَـاني رحمه الله[٤]: (هـو كنايـةٌ عـن أنـه أُمِـرَ أن يكتفـي بظواهـر

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٢) ومسلم (١٠٦٤).

(٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج (١٦٣/٧).

(٣) فيضُ القدير شرح الجامع الصغير (١٧/٣).

(٤) التَّنوير شرح الجامع الصَّغير (٢١٩/٤).

أحـوال المسـلمين، وأنَّـه لم يُؤمـر بالبحـث عـن أحوالهـم، والاطِّـلاع عـلى مـا هـو مطـويٌّ عنـه، ويُحتمـل أنَّـه أراد الإعـلام بأنَّـه لا يعلـم بواطـن العبـاد أحـدٌ غـير الله، وأنَّـه لـو أُمِـر بنَقْـبِ القلـوب وشـقِّ البطـون مـا عَلِـمَ مـا أضمـروه، ويُحتمـل أنَّـه يعلمـه بعـد ذلـك إلا أنَّـه لم يُؤمـر بـه).

الحديث الأربعون

جعل الهمِّ همًّا واحدًا

عـن أنـس بـن مالـك رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: «مَـنْ كَانَـتِ الآخِـرَةُ هَمَّـهُ جَعَـلَ اللَّـهُ غِنَـاهُ فِي قَلبِـهِ وجَمَـعَ لَـهُ شَـمْلَهُ وأَتَتـهُ الدُّنيَـا وَهـيَ رَاغِمَـةٌ، ومَـنْ كانـتِ الدُّنيـا همَّـهُ جَعَـلَ اللَّـهُ فقـرَهُ بَـيْنَ عَيْنَيـهِ وفـرَّقَ عَليـهِ شَـمْلَهُ، ولَـمْ يَأتِـهِ مِـنَ الدُّنيَـا إلَّا مَـا قُـدِّرَ لَـهُ»[1].

إفـــادة

قـال الطِّيبِـي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: (قولـه: «شَـمْلَهُ» أي أمـوره المتفرقة، يقـال: جمـع اللـه شـمله: أي مـا تشـتَّت مـن أمـره، وفـرَّق اللـه شـمله: أي مـا اجتمـع مـن أمـره، فهـو مـن الأضـداد.

والحديـث مـن بـاب التَّقابـل والمُطابقة، فقولـه: «جَعَـلَ اللَّـهُ غِنَـاهُ فِي قَلبِـهِ» مقابـلٌ لقولـه: «جَعَـلَ اللَّـهُ فقـرَهُ بَـيْنَ عَيْنَيـهِ»، وقولـه: «جَمَـعَ لَـهُ شَـمْلَهُ» لقولـه: «شَـتَّتَ عَليـهِ أَمـرَهُ»، وقولـه: «وأَتَتـهُ

(١) رواه التِّرمذيّ (٢٤٦٥).

(٢) الكاشف عن حقائق السُّنن (٣٧٢/١١).

الدُّنيَا وَهِـيَ رَاغِمَـةٌ » لقولـه: «وَلَا يَأْتِيـهِ مِنهَـا إِلَّا مَـا كُتِـبَ لَـهُ».
فيكـون معنـى الأوَّل: وأتـاه مـا كُتِـب لـه مـن الدُّنيـا وهـي راغمـةٌ،
ومعنـى الثَّاني: وأتـاه مـا كُتِـب لـه مـن الدُّنيـا وهـو راغـمٌ).

وقـال الفَيومِـي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: (ومـن الخـير الَّـذي يُـسرع اللـه بـه إليـه [يعنـي إلى العبـد] مـا قـال المصطفـى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مـن جعـل الهمـوم هـمًّا واحـدًا كفـاه اللـه همـوم الدُّنيـا والآخـرة، ومـن كانـت الدُّنيـا أكـبرَ همـه؛ تَخَـوَّف بأحوالهـا وتقلُّبِهـا، ورَغِـب في الجمـع والمنـع، وذلـك سـمٌّ قاتـلٌ، فمـن رفـض ذلـك انكشـف لـه الغطـاء، فوجـد اللـه كافيًـا لـه في كل أمـر، فرفـع بالـه عـن التَّدبـير لنفسـه، وأقبـل عـلى ملاحظـة تدبـير اللـه، واسـتراح وسـخَّر إليـه النَّـاس، وأفـاض عليـه الخـير بغـير حسـابٍ ولا قيـاسٍ).

وقـال[2]: (فمـن كان فقـرُه بـين عينيـه لم يـزل خائفًـا مـن الفقـر، لا يسـتغني قلبـه بـشيءٍ ولا يَشـبع مـن الدُّنيـا، فـإنَّ الغنـى غنـى القلـب، والفقـر فقـر النَّفـس. وفي حديـث خرَّجـه الطَّـبراني مرفوعًـا: «الغِنَـى فِي القَلـبِ، والفَقـرُ فِي القَلـبِ»، ومـن كان الغنـى في قلبـه فـلا يَـضرُّه مـا لَقِـي مـن الدُّنيـا، ومـن كان الفقـر في قلبـه فـلا يُغنيـه مـا أكـثر لـه منهـا وإنَّمـا يَـضرُّ نفسـه.

وعـن عيـسى عليـه أفضـل الصَّـلاة والسَّـلام قـال: «مَثَـلُ طَالِـب الدُّنيَـا كشَـارِبِ البَحـرِ، كلَّـمَا زَادَ شُربًـا مِنـهُ زَادَ عَطَشًـا حَتَّـى يَقتُلَـهُ».

---

(١) فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب (٥٠٠/١٢).
(٢) المصدر السَّابق (٥٠١/١٢).

قال يحيى بن معاذ: من كان غِنَاه في قلبه لم يزل غنيًّا، ومن كان غناه في كسبه لم يزل فقيرًا، ومن قَصَدَ المخلوقين لحوائجه لم يزل محرومًا، ويشهد لهذا كلِّه الحديث الصَّحيح عن النَّبي ﷺ: «لو كان لابنِ آدمَ وَادِيانِ من ذَهَبٍ لابْتَغَى لَهُمَا ثَالِثًا، ولا يَمْلأُ جَوفَ ابنَ آدمَ إلَّا التُّرَاب، ويَتُوبُ الله على من تَابَ». لو فكَّر الطَّامع في عاقبة الدُّنيا لقَنِعَ، ولو تذكَّر الجائع إلى فُضُولٍ مآلُهَا لشَبِعَ.

هب أن قد ملكت الأرض طُرًّا ** ودان لك العباد فكان ماذا

أليس غدًا مصيرك جَوفُ تُربٍ ** ويَحثي التُّربَ هذا ثم هذا.

الحديث الواحد والأربعون

الاستعاذة من الهمِّ والحَزَن

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ الله ﷺ كثيرًا يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[1].

إفــــادات

قال الكِرْمَاني رَحِمَهُ الله[2]: (قوله: «الهَمِّ» قيل: الهمّ لمكروهٍ يتوقع والحزن لمكروهٍ واقعٍ، و«العَجْزِ» ضد القدرة، و«الكَسَلِ»: التَّثاقل عن الأمر ضد الجَلَادة، و«البُخْلِ»: ضدُّ الكرم، و«الجُبْنِ»: ضدُّ الشَّجاعة، و«ضَلَعِ الدَّيْنِ» بفتحتين: ثِقَلُه وشدَّته وقوّته، و«غَلَبَةِ الرِّجَالِ»: تسلُّطهم واستيلاؤُهم هرجًا ومرجًا).

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ الله[3]: («أَعُوذُ بِكَ مِن الهَمِّ والحَزَنِ»، وهما قرينان، وإنَّ المكروه الوارد على القلب ينقسم باعتبار سببه إلى قسمين، فإنَّه إمَّا أن يكون سببه أمرًا ماضيًا فهو يُحدِث الحزن،

(١) رواه البخاري (٢٨٩٣) مطوّلاً.
(٢) الكواكب الدَّرارِي في شرح صحيح البخاري (١٥٩/٢٢).
(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤٢٧/٢-٤٢٩).

وإمَّا أن يكون توقع أمرٍ مُستقبلٍ فهو يُورثُ الهمَّ، وكلاهما من العجز، فإنَّ ما مضى لا يُدفع بالحزن؛ بل بالرِّضا والحمد والصَّبر والإيمان بالقدر، وقول العبد: قدَّر الله وما شاء فعل. وما يُستقبل لا يُدفع أيضًا بالهمِّ، بل إمَّا أن يكون له حيلةٌ في دفعه فلا يَعْجِز عنه، وإمَّا أن لا يكون له حيلةٌ في دفعه، فلا يَجْزَع منه، ويلبس له لباسه، ويأخذ له عدَّته، ويتأهب له أُهبته اللائقة به، ويَستجنُّ بجُنَّةٍ حَصينةٍ من التَّوحيد والتَّوكل، والانطراح بين يدي الرَّب تعالى، والاستسلام له، والرِّضا به ربًّا في كلِّ شيءٍ، ولا يرضى به ربًّا فيما يُحبُّ دون ما يَكره، فإذا كان هكذا لم يرض به ربًّا على الإطلاق، فلا يرضاه الرَّب له عبدًا على الإطلاق.

فالهمُّ والحزن لا ينفعان العبد البتَّة، بل مضرَّتُهُما أكثر من منفعتهما، فإنَّهما يُضعفان العزم، ويُوهنان القلب، ويحولان بين العبد وبين الاجتهاد فيما ينفعه، ويقطعان عليه طريق السَّير، أو يُنكسانه إلى وراء، أو يَعُوقَانِه ويَقِفَانه، أو يَحْجُبُانه عن العلم الَّذِي كلَّما رآه شمَّر إليه وجدَّ في سيره، فهما حملٌ ثقيلٌ على ظهر السَّائر، بل إن عاقه الهمُّ والحزن عن شهواته وإراداته الَّتِي تضرُّه في معاشه ومعاده انتفع به من هذا الوجه. وهذا من حكمة العزيز الحكيم أن سلَّط هذين الجندين على القلوب المعرضة عنه، الفارغة من محبته وخوفه ورجائه والإنابة إليه والتَّوكل عليه والأنس به والفرار إليه والانقطاع إليه؛ ليردَّها بما

يبتليها بـه مـن الهمـوم والغمـوم والأحـزان والآلام القلبيـة، عـن كثـير مـن معاصيهـا وشـهواتها المُردِيـة.

وهـذه القلـوب في سـجنٍ مـن الجحيـم في هـذه الـدَّار، وإن أُريـد بهـا خـيرٌ كان حظُّهـا مـن سـجن الجحيـم في معادهـا، ولا تـزال في هـذا السِّـجن حتـى تتخلَّـص إلى فضـاء التَّوحيـد، والإقبـال عـلى اللـه، والأنـس بـه، وجَعْـلِ محبتـه في محـلِّ دبيـب خواطـر القلـب ووساوسـه، بحيـث يكـون ذكـره تعـالى وحبُّـه، وخوفـه ورجـاؤه، والفـرح بـه والابتهـاج بذكـره =هـو المسـتولي عـلى القلـب، الغالـب عليـه، الَّـذِي متـى فقـده فقـد قوَّتـه الَّـذِي لا قوام لـه إلا بـه، ولا بقاء لـه بدونـه، ولا سـبيل إلى خـلاص القلـب مـن هـذه الآلام الَّتِـي هـي أعظـم أمراضـه وأفسـدها لـه إلا بذلـك، ولا بـلاغ إلا باللـه وحـده، فإنَّـه لا يُوصِـل إليـه إلا هـو، ولا يـأتي بالحسـنات إلا هـو، ولا يـصرف السَّـيئات إلا هـو، ولا يَـدلُّ عليـه إلا هـو، وإذا أراد عبـده لأمـرٍ هيَّـأه لـه، فمنـه الإيجـاد، ومنـه الإعـداد، ومنـه الإمـداد، وإذا أقامـه في مقـام، أيَّ مقـامٍ كان، فبحمـده أقامـه فيـه، وحكمتـه إقامته فيـه، ولا يليـق به غـيره، ولا يصلـح لـه سـواه، ولا مانـع لما أعطـى اللـه، ولا معطـي لما منـع، ولم يمنـع عبـده حقًّـا هـو للعبـد فيكـون بمنعـه ظالمًـا؛ بـل منعه ليتوصـل إليـه بمحابِّـه ليعطيـه، وليتـضرَّع إليـه، ويتذلَّـل بـين يديـه، ويتملَّقـه، ويُعطـي فقـره إليـه حقَّـه، بحيـث يشـهد في كل ذرَّةٍ مـن ذرَّاتـه الباطنـة والظاهـرة فاقـةً تامَّـةً إليـه عـلى تعاقـب الأنفـاس).

الحديث الثّاني والأربعون

الإكثار من الصَّلاة على الرَّسول ﷺ

عن أبي بن كعـب رضي اللـه عنـه قال: قلْتُ: يا رسولَ اللهِ إنِّي أكْثِرُ الصلاةَ عليْكَ فكم أجعَلُ لكَ من صلاتِي؟ فقال: «ما شِئْتَ». قال: قلتُ: الربعَ. قال: «ما شِئْتَ، فإنْ زدتَّ فهو خيرٌ لكَ».

قلتُ: النِّصفَ؟ قال: «ما شِئْتَ، فإنْ زدتَّ فهو خيرٌ لكَ».

قال: قلْتُ: فالثلثينِ؟ قال: «ما شِئْتَ، فإنْ زدتَّ فهو خيرٌ لكَ».

قلتُ: أجعلُ لكَ صلاتي كلَّها؟ قال:«إذًا تُكْفَى همَّكَ ويغفرْ لكَ ذنبُكَ»(1).

إفـــادات

قـال ابـن المَلِـك رحمه الله(2): ([قولـه:] «ما شِـئْتَ، فإنْ زدتَّ فهو خيرٌ لـكَ»، فلـم يَحُـدَّ لـه - عليـه الصـلاة والسـلام- حـدًّا في ذلـك؛ لئلَّا تلتبـس الفضيلـة بالفريضـة، ويُغلـق عليـه بـاب المزيـد، فلـم يـزل يُفـوِّض الاختيـار إليـه مـع مراعـاة الحـبِّ عليـه).

وقـال: («أجعلُ لكَ صلاتي كلَّهـا؟»؛ أي أصلِّي عليـك بـدل مـا أدعـو بـه لنفـسي؟ قـال: «إذًا تُكْفَى همَّـكَ». الهـمُّ: مـا يَقصـده المـرء مـن

(١) رواه التِّرمذيّ (٢٤٥٧) وأحمد (٢٠٧٣٦).
(٢) شرح مصابيح السُّنَّة (٢/٣٣).

أمر الدِّين والدُّنيا؛ أي: إذا صرفتَ جميع زمانك في الصَّلاة علي كُفيتَ ما يُهمُّك من أمر دينك ودنياك؛ لأنَّ الصَّلاة -عليه الصَّلاة والسَّلام- أفضل للمرء من الدُّعاء لنفسه).

وقال ابن عَلَّان رحمه الله[1]: (ووجه كفاية المهمات بصرف ذلك الزَّمن إلى الصَّلاة عليه؛ أنَّها مشتملةٌ على امتثال أمر الله تعالى وعلى ذكره وتعظيمه وتعظيم رسوله، وقد جاء في الحديث القدسي: «مَن شَغَلَهُ ذِكرِي عَن مَسأَلَتِي أَعطَيتُهُ أَفضَلَ مَا أُعطِي السَّائِلينَ». ففي الحقيقة لم يفت بذلك الصَّرف شيءٌ على المصلِّي، بل حصل له بتعرضه بذلك الثَّناءِ الأعظمِ أفضل ما كان يدعو به لنفسه، وحصل له مع ذلك صلاةُ الله وملائكته عليه عشرًا أو سبعين أو ألفًا كما جاء بذلك روايات، مع ما انضمَّ لذلك من الثَّواب الَّذي لا يُوازيه ثواب، فأيُّ فوائدَ أعظمُ من هذه الفوائد، ومتى يَظفر المتعبِّد بمثلها فضلًا عن أنفس منها، وأنَّى يُوازي دعاؤه لنفسه واحدةً من تلك الفضائل الَّتي ليس لها مماثل ببركته).

(١) دليل الفالحين لطُرُق رياض الصَّالحين (١٨/٥).

الخاتمة

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونيَّة:

يا هجرةً طالت مسافتها على ... من خُصَّ بالحرمان والخذلان
يا هجرةً طالت مسافتها على ... كسلان مَنخُوبِ الفؤاد جبان
يا هجرةً والعبد فوق فراشه ... سبق السُّعاة لمنزل الرِّضوان
ساروا أحثَّ السَّير وهو فسيرُه ... سيرُ الدَّلال وليس بالرَّملان
هذا وتنظره أمام الرَّكب كالعـ ... ـلم العظيم يُشاف في القِيعَان
رُفعتْ له أعلام هاتيك النُّصو ... ص رؤوسَها شابت من النِّيران
نارٌ هي النُّور المبين ولم يكن ... ليراه إلا من له عينان
مكحولتان بمِرْوَد الوحيين لا ... بمراود الآراء والهَذَيَان
فلذاك شمَّر نحوها لم يلتفت ... لا عن شمائله ولا أيمان
يا قوم لو هاجرتُمُ لرأيتُمُ ... أعلام طيبةَ رؤيةً بعِيَان
ورأيتم ذاك اللِّواء وتحته الرُّسـ ... ـل الكرام وعسكر القرآن
أصحاب بدرٍ والأُلى قد بايعوا ... أزكى البرية بيعة الرِّضوان
وكذا المهاجرة الأُلى سبقوا كذا الـ ... أنصار أهل الـدَّار والإيمان
والتَّابعون لهم بإحسانٍ وسا ... لكُ هديهم أبـدًا بكل زمان

الفِهرِس

الحديث	الصفحة
الحديث الأوَّل **الرَّحمة بالخلق**	٨
الحديث الثَّاني **عدِّ نِعَمِ الله**	١٠
الحديث الثَّالث **تذكُّر نعمتي الصِّحة والفَراغ**	١١
الحديث الرَّابع **الزُّهدُ في الدُّنيَا**	١٢
الحديث الخامس **مجالسة المساكين**	١٤
الحديث السَّادس **النَّظر إلى من هو أسفل في أمور الدُّنيا**	١٦
الحديث السَّابع **الرِّضا بالدُّون من العيش**	١٧
الحديث الثَّامن **اتِّخاذ خيرِ المالِ**	١٨
الحديث التَّاسع **بذل الفاضل عن الكفاية**	١٩

الحـــديث	الصفحة
الحديث العاشر **اعتياد الصَّدَقة وإن قلَّت**	٢١
الحديث الحادي عشر **تَبيُّن حقيقة الغنى**	٢٢
الحديث الثَّاني عشر **نيَّة الخير**	٢٣
الحديث الثَّالث عشر **الاتِّصاف بخصالِ حلاوة الإيمان**	٢٥
الحديث الرَّابع عشر **الحبُّ في الله**	٢٧
الحديث الخامس عشر **قضاء حوائج المسلمين والاجتماع على تلاوة القرآن**	٢٩
الحديث السَّادس عشر **إفشاء السَّلام**	٣١
الحديث السَّابع عشر **إجابة الدَّعوة وقبول الهديَّة**	٣٢
الحديث الثَّامن عشر **صِلَةُ الرَّحِم**	٣٣
الحديث التَّاسع عشر **زيارة الإخوان**	٣٥

الحـــديث	الصفحة

الحديث العشرون ٣٦
التَّواضع وخفض الجناح للمؤمنين
الحديث الواحد والعشرون ٣٨
لزوم الجماعة
الحديث الثَّاني والعشرون ٤٠
لزوم التَّفاؤل
الحديث الثَّالث والعشرون ٤٢
ترجيح مُقتضي المحبَّة
الحديث الرَّابع والعشرون ٤٤
اعتقاد أنَّ أمر المُؤمِنِ كلُّه خير
الحديث الخامس والعشرون ٤٦
الاجتهاد في العمل
الحديث السَّادس والعشرون ٤٨
تفويض المقادير لله
الحديث السَّابع والعشرون ٤٩
الرِّضا بالقضاء
الحديث الثَّامن والعشرون ٥١
تطييب النَّفس
الحديث التَّاسع والعشرون ٥٣
أحبّ الأعمال إلى الله

الحـــديث	الصفحة

الحديث الثَّلاثون ٥٥
الصِّيام لله
الحديث الواحد والثَّلاثون ٥٨
الإتيان إلى النَّاس بما تُحِبُ أن يُؤتى إليك
الحديث الثَّاني والثَّلاثون ٦٠
السَّماحة في المعاملة
الحديث الثَّالث الثَّلاثون ٦٢
ترك الشُّبُهات
الحديث الرَّابع والثَّلاثون ٦٤
الاستغناء بالله عن خلقه
الحديث الخامس والثَّلاثون ٦٦
مِلْكُ النَّفسِ عندَ الغَضَبِ
الحديث السَّادس والثَّلاثون ٦٨
الاقتصاد في العبادة
الحديث السَّابع والثَّلاثون ٧٠
المُداومة على العمل
الحديث الثَّامن والثَّلاثون ٧٢
حفظ اللِّسان
الحديث التَّاسع والثَّلاثون ٧٤
الأخذ بالظَّاهر

الحـــديث	الصفحة

الحديث الأربعون ٧٦
جعل الهمِّ همًّا واحدًا

الحديث الواحد والأربعون ٧٩
الاستعاذة من الهمِّ والحَزَن

الحديث الثَّاني والأربعون ٨٢
الإكثار من الصَّلاة على الرَّسول ﷺ

خَاتِمَة ٨٤

تــــمَّ المـــراد
بحمد الله وكرمه ومنَّته،،